رجال ونساء.. وحب

القصص العالمية للجميع

جون شتاينبك



رجال ونساء .. وحُبّ

القصص العالمية للجميع

رجال ونساء.. وحب

جون شتاينبك

ترجمة

د. ابراهيم اسكندر

منشورات

المكتبة الحديثة - بيروت

دار الشرق العربي - بيروت

مؤلف الرواية

يعتبر جون ارنست شتاينبك من اكبر الروائيين المعاصرين فى العالم ، ويرى كثير من النقاد انه « سومرست موم الولايات المتحدة » وذلك لتشابههما فى طريقة العرض العقلى القائم على العمق ، وعلى روعة الصياغة ، وبراعة التحليل ، والقدرة الفائقة على جذب انتباه القارىء الى كل ما يكتبه

وقد ولد شتاينبك فى ٢٧ فبراير عام ١٩٠٢ بمدينة ساليناس ، ثم التحق بجامعة ستانفورد عام ١٩١٩

وفى عام ١٩٣٠ تزوج كارول هيننج ، وعاش معها الى ان فصل بينهما الطلاق فى عام ١٩٤٣ ثم تزوج للمرة الثانية من چين كونجر فى نفس العام ، وانجب منها ولدين وابنة « توم ، وجون والمين سكوت »

وقد اشتغل فى خلال الحرب العالمية محررا ومراسلا حربيا فى ميادين القتال وقد وضع فى هذه الفترة كتابين من اعظم الكتب التى تناولت مشكلات الحرب والسلام وهما « سقوط القمر » فى عام ١٩٤٢ و « كاميرى راد » فى عام ١٩٤٥

وجدير بالذكر ان شتاينبك فاز بجائزة بوليتزر للادب ، وهى فى امريكا لا تقل شأنا عن جائزة نوبل العالمية

ويقيم جون شتاينبك فى الوقت الحاضر بنيويورك بالشارع ٤١ رقم « ١٨ ا »

□

ويمتاز شتاينبك بأنه روائى تاريخى وعصرى معا ، فهو ينتقى من سجلات التاريخ حكاية قصيرة ثم يضفى عليها من فنه وبراعته

وخياله وقوة تعبيره ما يحيلها الى قصة رائعة آخاذة تمس الالباب .
وهو حين يكتب قصة تاريخية ينقل القارىء عبر القرون والاعوام ، ويرسم صـــورة الماضى حية بارزة حتى ليخيل لقـــارئه أنه يعيش في جو هذا الماضى . ومثـــال ذلك رواية « ســــاحرة الرجال » التى قدمناها فى شهر يونية الماضى

وهو حين يكتب عن العصر الحالى يصوره فى أمانة ودقة وبراعة وجمال ، كما فعل فى روايته هذه التى نقدمها للقراء والتى سميناها « رجال ونساء .. وحب » واسمها الاصلى « موقف الاتوبيس »
« The Wayward Bus »

وهذه الرواية التى نقدمها للقارىء اليوم نالت شهرة عظيمة ، وهى التى جعلت مؤلفها شتاينبك يجلس فى مصـــاف كبـــار الروائيين الامريكان فى هذا العصر



شخصيات الرواية

جون شيكو John Chicoy : صاحب استراحة ريبلز كورنر وقائد سيارة عامة

اليس شيكو Alice Chicov : زوجة جون شيكو

المستر بريكارد Mr. Pritchard : رجل أعمال من شيكاغو

المسز بريكارد Mrs. Pritchard : زوجة المستر بريكارد

فان برانت Van Brant : رجل عجـوز من ذوى الاملاك

آرنست هورتون Ernost Horton : مندوب شركة لانتـاج العاب التسلية

كاميليا أوكس Camille Aokes : ممثـلة فى الفـرق الاستعراضية

نورما Norma : فتاة تعمل فى استراحة ريبلز كورنر

بمبلز Pimples : غلام مراهق يعمـل فى استراحة ريبلز كورنر

ميلدرد Mildred : فتاة عصرية متحررة هى ابنة المستر بريكارد

الفصل الأول

ركن الثوار

قبل مدينة سان سيدور بنحو اثنين واربعين ميلا ، وعلى الطريق الزراعى العام الواقع فى الشمال الجنوبى من ولاية كاليفورنيا ، نجد مفترقا للطرق اطلق عليه منذ اثنين وثمانين عاما اسم « ريبلز كورنر » أو ركن الثوار . وترجع تسميته بهذا الاسم الى عائلة من ثوار الولايات الجنوبية فى الحرب الاهلية الامريكية عام ١٨٦٢ ، احتمت فى هذه المنطقة ، ودافعت عنها ، واستقرت فيها ، واشتغلت بالحدادة والزراعة فترة من الزمن ، ثم إنقرض أفرادها عن آخرهم دون أن يتركوا وراءهم غير هذا الاسم الذى اطلق على مفترق الطرق فى تلك المنطقة

ومن هذا المفترق للطرق يمتد طريق له منعطفات يمينية نحو الغرب مسافة تسعة واربعين ميلا ، وعندئذ يتصل بطريق زراعى آخر كبير يمتد من سان فرانسسكو الى لوس انجليس ، ومنها بطبيعة الحال الى هوليوود . وعلى هذا فانه يتحتم على كل شخص داخل هذا الوادى الفسيح ، يريد أن يمضى الى الشاطىء فى تلك البقعة من الولاية ان يتخذ الطريق الذى يبدأ من « ريبلز كورنر » ويظل يتلوى بين التلال ، ووسط بقعة صحراوية صغيرة ، ثم داخل الحقول والجبال حتى يصل اخيرا الى الطريق الساحلى العام ، فى قلب مدينة سان حوان دى لاكروز

فى هذا المفترق من الطرق المسمى « ريبلز كورنر » نجد بطل قصتنا جون شيكو وزوجته البس وقد اشتريا مساحة من الارض أقاما عليها محطة لخدمة السيارات ، وجراجا ، ومطعما ، واستراحة صغيرة ، وورشة لاصلاح ما تصاب به السيارات من عطب . كما

حصلا على امتياز نقل المسافرين من ريلز كورنر الى مدينة سان جوان دى لاكروز على الطريق الساحلى العام

وتقع القاعة المؤدية الى المطعم وراء مضخات البنزين ، لا تفصل بينهما غير مساحة من الارض المنزرعة بالزهور ، والمفروشة بالرمال البيضاء النظيفة . اما المقاعد نفسها ، فهى متوسطة الاتساع ، ذات مائدة للخدمة « بنك » ومقاعد مستديرة مثبتة فى الارضية امامها ، وثلاث مناضد لمن يريد ان يتناول طعاما بعيدا عن مائدة الخدمة . وهذه المناضد قلما تستخدم لان الجالس اليها مضطر لان يدفع للمسز شيكو « بقشيشا » اضافيا ، ولهذا يفضل العملاء الجلوس على المقاعد المثبتة امام مائدة الخدمة مباشرة

ووراء مائدة الخدمة ترى مجموعة من الارفف ، وعلى الرف الاول نجد شطائر الحلوى ، وكعك جوز الهند ، وبعض الفطائر الجافة . وعلى الرف الثانى نجد علب الحساء المحفوظ ، والبرتقال ، والموز ، وعلى الرف الثالث نجد علب الدقيق ، ومسحوق الارز ، والزبيب ، وغير هذا او ذاك من الحبوب المعباة . ونجد فى احد طرفى المائدة شواية وبجانبها حوض ، وبجانب الحوض زجاجات البيرة والجبن ، وبجانب هذه علب الآيس كريم ، وعلى المائدة نفسها جهاز آلى توضع فى ثقبه النقود فيدير الاسطوانة الغنائية او الموسيقى المطلوبة ، وبجانبه زجاجات الملح والفلفل والخردل والمناشف الورقية ، والعلب الزجاجية لعرض الكعك والفطائر ذات الاغطية المصنوعة من اللدائن «البلاستك» . اما الجدران فهى مزينة بعدد من « النتائج » واعلانات المياه الغازية ومصانع الحلوى ، ومزينة أيضا بصور فتيات جميلات شبه عاريات ، بارزات النهود ، طويلات السيقان ، ضامرات الخصور ، مستديرات الارداف

وكانت اليس شيكو ــ المسز جون شيكو ــ التى تعمل بين صور هذه الفتيات الحسناوات ، سيدة فى نحو الاربعين من العمر ، عريضة الارداف ، ذاوية الصدر ، ملفوفة الجسم الى حد ما ، ولكنها لم تشعر أبدا بالغيرة من فنيات هذه الصور الاعلانية ، لانها لم تر فى حياتها من تشبههن فى واقع الحياة ، وتعتقد أنه ليس هناك من راى فى حياته مثلهن . وكانت تقضى سحابة النهار وشطرا كبيرا من الليل

فى اعداد السجق ، وقلى البيض ، وتسخين علب الحساء ، وضرب الآيس كريم ... فلا عجب اذا كان التعب يدب فى أوصالها آخر النهار ، ويؤثر على اعصابها ، ويجعلها تهمل زينتها

وبجانب قاعة الطعام ، نجد الجراج الذى كان فى الاصل مصنع الحدادة للعائلة المنقرضة . وفى هذا الجراج يقيم جون شيكو معظم وقته اذا لم يكن مشغولا بقيادة سيارته الحافلة بالركاب بين ريبلز كورنر ومدينة سان جوان دى لاكروز .وجون شيكو هذا رجل طويل القامة قوى البنية ، ينحدر من أم مكسيكية ووالد أيرلندى ، ويبلغ من العمر نحو خمسين عاما ، ولكن من يراه يحسبه فى الاربعين . وهو اسود العينين ، ناعم الشعر ، جميل الراس ، وسيم الوجه ، ملوح البشرة ، تحبه زوجته بجنون ، وتخشاه بعض الخشية ، لانه رجل ، ولان الرجال في الدنيا ــ كما تبينت أليس أخيرا ــ قليلون

وفى هذا الجراج يعمل جون شيكو فى اصلاح الاطارات ، وتنظيف خزانات الوقود ، واعداد ما يلزم لمضخات البنزين ، وغير هذا وذاك من الشئون التى لا مندوحة عنها للخدمة والصيانة فى محطة بنزين . وهو يقوم بهذه الاعمال فى الاوقات التى لا يقود فيها سيارته الحافلة ، اى قبل العاشرة والنصف صباحا ، وبعد الرابعة مساء . اما فيما بين هاتين الساعتين ، فانه يكون مشغولا بقيادة سيارته التى تحمل المسافرين الذين هبطوا فى ريبلز كورنر ، الى مدينة سان جوان دى لاكروز ، ثم العودة بغيرهم من هذه المدينة الى ريبلز كورنر حيث يستقلون السيارة العامة الذاهبة الى الشمال فى تمام الساعة الرابعة والخمسين دقيقة ، أو الاخرى الماضية الى الجنوب فى الخامسة والربع

وعندما يكون المستر جون شيكو مشغولا بقيادة السيارة ، يقوم بالعمل فى الجراج غلمان أو شبان دون العشرين من العمر عادة يتفاوتون فى اظهار البراعة والمقدرة على العمل ، ولكنهم يتفقون فى حب الكسل والاهمال والجرى وراء البنات . ولهذا قلما كان يبقى احدهم مدة طويلة فى هذا العمل ، لان جون شيكو ، وهو نفسه رجل بارع نشط ، كان حريصا دائما على ارضاء عملائه ، فلا يطيق اى خطأ يحدث بسبب الاهمال أو الكسل

وكان معظم الغلمان والشبان الذين عملوا معه ، يتخذون من هذا العمل مجرد « محطة » فى طريقهم الطويل الى هوليوود حيث تناديهم الشهرة والثراء ، وحيث تتركز أحلامهم فى الليل والنهار

وتقع وراء الجراج دورتان للمياه منفصلتان تماما ، احداهمـــا « للرجال » والثانية « للنساء » وللأولى ممر يؤدى الى يمين الجراج، وللأخرى ممر يؤدى الى يساره

ومن معالم هذه البقعة مجموعة من السنديان الشامخة المحيطـــة بالجراج والمطعم ، لا يعرف أحدمن أنبتها فى تلك البقعة ، وانما المؤكد أنها تزيد فى العمر عن مائتى عام . وهذه الاشجار البديعة تزود المحطة فى الصيف بالظلال الوارفة التى يتظلل بها المسافرون للراحة ولتناول الغداء ، ولتبريد محركات سياراتهم الخاصة . وكانت المحطة نفسها جميلة تسر العين ، مطلية باللونين الاخضر والاحمر ،وتدور بها أصص الازهار العاطرة ، وتمتد أمامها الرمال البيضاء التى ترش كل يوم بالماء . أما فى داخل المطعم والجراج ، فكان النظام مستتبا ، وكل شىء يسير فى دقة وترتيب ، مع الحرص الشديد على النظافة وحسن الرواء

وكما كان جون شيكو يعانى الشىء الكثير من مساعديه العمال ، الذين لا يكاد الواحد يقيم معه غير أسابيع قليلة حتى يمضى ليحل آخر محله ، كانت المسـز شـيكو تعـانى من نفس المشـــكلة مع مساعداتها من العاملات فى المطعم فالجميلة منهن لا تلبث ان تترك العمل بعد أيام قليلة مع احد العملاء ، ونصف الجميلة لا تكف عن التأوهات وهى تنصت الى الاغانى ، ولا تتعب من كتابة الرســـائل المطولة الى الممثل المشهور كلارك جيبل ، كما هو الحال مع هذه الفتاة التى كانت تعمل معها عند وقوع أحداث هذه القصة ..

انها الفتاة نورما التى يملأ كلارك جيبل خيالها ، ويجعلها هدفـا طيبا لقذائف لسان المسز أليس ، لاسيما عندما تكون هذه الاخيرة متعبة متوترة الاعصاب

ونظام العمـل فى المحطة لا يتغير فى الصـباح . فعنـدما تشرق الشمس ، وربما قبل أن تشرق فى الشتاء ــ تكون أليس قد أعدت أبريق القهوة الضخم لاستقبال أصحاب وسائقى السيارات الخاصة أو سيارات النقل البرى ، أو منـدوبى اقســام البيع والتوزيع فى

الشركات الذين يبدأون السفر ليلا حتى تتسع ساعات النهار لنشاطهم الموفور . وكان هؤلاء وهؤلاء يجدون فى قاعة المطعم ، وفى تلك الساعات المبكرة ، الراحة والدفء والافطار الشهى . ثم يبدأ السائحون وغيرهم من المسافرين فى الوفود بعد شروق الشمس ، اما لتناول الطعام ، أو لشرب القهوة ، أو للسؤال عن اتجاه الطريق

وكان السياح أو المسافرون الوافدون من ناحية الشمال لا يهمون نورما فى قليل او كثير ، وانما كان اهتمامها يتركز فى الوافدين من الجنوب ، من مدينة سان جوان دي لاكروز ، لان الاحتمال كبير فى انهم مروا فى طريقهم بهوليوود ، كعبة آمالها ، ومثابة فارس أحلامها . اذ من يدريها ، فانها قد تجد بينهم من راى كلارك جيبل وجها لوجه . وكانت نورما تبدا رسائلها المطولة الى جيبل بهذه العبارة « عزيزى المستر جيبل » ثم تختتمها قائلة « حبيبتك المجهولة » . وكانت ترتعد بالانفعال وهى تكتب الكلمتين الاخيرتين، وكأنما تتوقع أن يعرف « جيبل » من هى هذه الحبيبة المجهولة

وفى بعض الاحيان كان تمنى النفس بأنها سوف ترفع عينيها الحالمتين — يوما — وهى تمسح مائدة الخدمة وتلمعها — فترى الباب يفتح ، ويدخل منه فارس أحلامها « جيبل » ويقف متسمرا فى مكانه حين يراها ، ويفتح فمه دهشة لجمالها ، وتقول عيناه بوضوح : « آه ، هذه هى فتاة أحلامى »

وعند هذا الحد كانت أحلام نورما تتوقف ، لانها من النوع الشديد الحياء والخجل . وعدا هذا لم تكن فى تلك السن ، التاسعة عشرة من العمر ، قد عرفت بعد كيف تمارس الحياة الزوجية . وكانت مظاهر الحب الجنسى فى حياتها لا تعدو صراعا عنيفا متصلا مع الذين يحاولون اغتصابها رغما عنها ، فيمزقون ملابسها ، ولكنها كانت فى كل مرة تخرج ظافرة منتصرة ، وكانت تعرف فى قرارة نفسها ان « جيبل » لا يمكن ان يفعل هذا معها ، لانه رجل مهذب . ولم تكن نورما بارعة الجمال ، كما لم يكن شكلها منفرا ، فهى فتاة لا تخلو من الجمال اذا أنت جلست معها مرة بعد مرة وجعلتها تألفك وتطمئن اليك . فهنا تلتمع عيناها الواسعتان بالحنين ، وتفتر شفتاها الورديتان عن ابتسامة فيها طفولة وبناس،

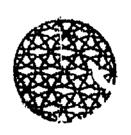
وربما اضطرب، صدرها البارز قليلا عندما تطيل نظراتك الى عينيها

وكانت تمتلك قطعتين من الحلي ورثتهما عن امها ، سوار من الذهب المنقوش ، وقلادة من اللؤلؤ المزيف والمحار . ولكنها كانت تعتز ، الى حد الجنون ، بقطعتين اخريين من الحلى اشترتهما من مالها الخاص : دبلة زواج ، وخاتم زواج مرصع بقطعة كبيرة من الماس المقلد وكانت شديدة الحرص على اخفاء هاتين القطعتين اثناء النهار فى قاع حقيبة ملابسها التى لاتتركها مفتوحة أبدآ ، حتى اذا جن الليل ، وضعت الخاتمين فى اصبعها الخنصر ، ونامت وعلى شفتيها ابتسامة راضية

□

اما غرفات النوم فى المطعم ، فكانت قليلة وبسيطة وبعيدة عن الانظار . ففى جانب الجدار الواقع وراء مائدة الخدمة ، يوجد بابه يؤدى الى ممر صغير ينتهى بغرفة نوم جون شيكو وزوجته . وهى تحتوى على سرير عريض لشخصين ، ومنضدة ، ومتكأ مريح، وثلاثة مقاعد ، ومصباح ذى ظلة خضراء ، وعلى الارضية سجادة من نوع جيد

وتؤدى هذه الغرفة الى غرفه نوم نورما مباشرة ، وذلك أن المسز أليس كانت حريصة على رعاية الفتاة التى تعمل معها فى هذه الناحية الاخلاقية ، وترى انها مسئولة عنها بطريقة مباشرة . ومن ثم كان على نورما ان تمر بغرفة اليس عند دخولها الى غرفتها أو عند الخروج منها . أما الحمام الصغير ، فكان يقع فى الممر



الفصل الثانى

جون شيكو

كانت فلول الليل فى النزع الاخير عندما سار جون شيكو حاملا المصباح الى باب الجراج . وكان الشاب « بمبلز » يسير وراءه مترنحا وعيناه مثقلتان بالنوم ، ويداه فى جيبى سرواله ، وجسمه النحيل يرتعد من الهواء البارد المثقل بعبير الزهور ورائحة الحقول، والذى كان يهب من الشمال عبر التلال والحقول

وتناول شيكو من جيب ملابس العمل حلقة مفاتيح ، اختار منها مفتاحا كبيرا وفتح باب الجراج ، ثم اضاء المصباح الكهربائى الذى يتوسط السقف ، وأطفأ المصباح الذى كان يحمله ، ثم تناول مجموعة من الآلات والادوات . وراح يختار منها ما يحتاج اليه ، بينما وقف بمبلز كارسون بجانبه ، معتمدا بمرفقه على منضدة للعمل ، يرقبه فى تكاسل وصمت ، ويحاول جاهدا أن يطرد بقايا النوم من عينيه

وكان بمبلز غلاما فى نحو السابعة عشرة من عمره ، طويل القامة ، نحيل الجسم ، ضيق الكتفين ، شاحب لون العينين ، يمتلىء وجهه المستطيل بحب الشباب المزمن الذى جعل اهله ومعارفه يطلقون عليه « بمبلز » ، والذى أكد له الاطباء انه سوف يزول بعد أن يتجاوز الثانية والعشرين من عمره ، ولكنه مع هذا لم يكف عن شراء الادوية والمراهم التى يقرأ عن فائدتها فى ازالتها

وكان فى ذلك الصباح يرتدى سترة جلدية من النوع الذى يرتديه راكبو الدراجات البخارية فى المسافات الطويلة ، وسروالا ضيقا ازرق اللون ، ونعلا خفيفا له اربطة تدور حول أعلى القدمين. ووضع جون شيكو ما اختاره من آلات وأدوات فى كيس جلدى ثم قال لبمبلز :

ـ هات مصباح العمل ذا السلك الطويل واتبعنى الى السيارة يا بمبلز . هلم استيقظ وافتح عينيك واطرد بقايا النوم عن راسك

وانتفض بمبلز كما يفعل الكلب الكسول ، ثم قال :

ـ يبدو ان النوم يريد ان يغلبنى على أمرى

ـ دعك من الكسل ، وهلم احمل المصباح واللوح الخشبى ، فقد آن لنا ان نفرغ من اصلاح تروس السيارة

وتناول بمبلز المصباح الكهربائى الموضوع داخل شبكة من اسلاك الحديد تحفظه من الكسر ، وراح يكر سلكه الطويل المغلف بالمطاط

ثم وضع « الكبس » فى « النيشة » القريبة من باب الجراج ،وحمل بيده الاخرى اللوح الخشبى المبطن بالمطاط الذى يوضع عادة تحت السيارة عند اصلاحها لينام عليه من يقوم بعملية الاصلاح . ولكنه ما كاد يبتعد قليلا عن الجراج فى الطريق الى السيارة حتى هتف قائلا حين شعر بقوة الريح الباردة تزداد :

ـ يا للسماء ، انها اذا امطرت فسوف تزيد الامور تعقيدا !

وكانت قمم الجبال فى الشرق قد بدات تنكشف قليلا مع الفجر الزاحف ببطء ، وكان ضوء المصباح ينعكس على الارضية المفروشة بالرمال ، ويكشف عن أوراق أشجار السنديان المتساقطة . ووضع بمبلز اللوح تحت الجزء الخلفى من السيارة الحافلة وهو يكرر القول :

ـ انها اذا امطرت . . .

فقاطعه جون شيكو قائلا :

ـ ان المطر لايهمنى فى الوقت الحاضر ، وانما المهم هو اصلاح هذا الترس الذى انكسر ثم تهدئة ثائرة الركاب الذين اضطروا الى قضاء الليل هنا

وكان الجزء الخلفى من السيارة مرفوعا عن الارض قليلا فوق حمالتين من الروافع الخشبية ، وكانت العجلتان الخلفيتان مفصولتين عن محاورهما ، وغطاء المحرك ـ الواقع فى مؤخرة السيارة ـ مرفوعا أيضا ، وعلى الجملة كان كل شىء معدا لعملية الاصلاح

وقال جون بمبلز وهو يرقد على اللوح تحت السيارة :

ـ قرب المصباح منى يا بمبلز ، نعم ، هكذا اذكر أنى وضعت ترسا

جديدا ذات مرة في محور قديم ، فتحطم بعد ساعات قليلة من الاستعمال

فقال بمبلز :

ـ ان صوت تحطم الترس يجعل الانسان يضرس ، ثم يشعر ان شيئا ما تحته قد انفلت . ترى ، ما الذى جعل هذا الترس يتحطم يامستر شيكو ؟

فقال شيكو وهو يبدأ في العمل :

ـ لا ادرى ان هناك اشياء كثيرة لا يعرفها الانسان عن خصائص المعدن . انظر مثلا الى مصانع فورد ، انها تنتج السيارات بالمئات في اليوم الواحد ، ولكنك تجد في كل مائة سيارة اثنتين او ثلاثة رديئة جدا مع انها خرجت من نفس المصنع ، وصنعت بنفس الالات ، ومن نفس المعادن ؟ والعجيب أن دائرتها لا تقتصر على جزء معين منها أو بضعة أجزاء ، وانما تشملها كلها ، فاذا كل واحدة منها تنهار تماما بعد بضعة أسابيع أو اشهر من استعمالها . وفى الوقت نفسه تجد في كل مائة ثلاث أو أربع سيارات تمتاز بمتانة مذهلة، دون سبب معروف فتظل الواحدة منها سليمة تماما سنوات وسنوات دون أن يحتاج صاحبها الى اصلاح شيء فيها

فقال بمبلز :

ـ كانت لدى واحدة من هذا النوع ، بعتها أخيرا واعتقد انها ستظل سليمة سنوات عديدة . واذكر انى لم اصرف عليها مليما طيلة السنوات الثلاث التي ظلت فيها ملكا لى

فقال جون :

ـ ان المعدن عنصر عجيب . ويخيل لى انه يتعب احيانا . . حسنا . . قرب المصباح نحو الجانب الايسر ، اعلى قليلا . والآن ناولنى المفتاح الكبير

وقال بمبلز بعد برهة من الصمت :

ـ أرجو أن تتمكن من تسييرها اليوم ، لانى اريد ان اقضى ليلة اخرى نائما على مقعد غير مريح

فأرسل جون شيكو ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ ارايت في حياتك اشخاصا اشد جنونا من اصحابنا هؤلاء عندما اضطررنا للعودة الى المحطة بعد تحطم الترس . ان من يراهم عندئذ

ليظن اننى كسرت الترس عن عمد لكى يقضوا الليل عندنا ! ويبدو انهم ظنوا هذا ايضا ، ومن ثم راحوا يصبون غضبهم على المسكينة اليس طيلة المساء وكأنما هى المسئولة عما حدث . والواضح ان الناس بوجه عام لا يحبون ان يعوقهم شيء اثناء السفر

وهز بمبلز كتفيه وقال :

ــ أيا كان الامر فقد ناموا فى أسرتنا ، فلماذا يضجون بالشكوى ؟ ان الذين من حقهم أن يتذمروا ، هم انت وأنا واليس ونورما ، لاننا امضينا ليلنا نائمين على المقاعد . واعتقد ان اسرة بريكارد كانت اشدهم تذمرا وضجيجا ، ولست اعنى الفتاة ميلدرد ، وانما اعنى والديها العجوزين . ان والدها العجوز يظن اننا نريد ان نسرقه ، ولهذا لا يكف عن تذكيرى بأنه رئيس شركة او هيئة أو ما لست أدرى ماذا ، وانه سيعرف كيف يجعلنا نندم على ما اقترفنا فى حقه وقد نام هو وزوجته فى سريرك يا سيدى ، فأين نامت اذن ابنتهما ميلدرد ؟

فقال جون :

ــ اظن على المتكأ ، او ربما مع ابويها . أما صاحبنا مندوب شركة العاب التسلية فقد نام فى غرفة نورما

فقال بمبلز :

ــ اننى أميل الى هذا الشاب ، فهو لم يتذمر أو يشكو ، وانما قال ان هناك ظروفا لا يسع الانسان فيها الا ان يرضى بما هو مقدر عليه . اتعرف الى اين تريد اسرة بريكارد ان تذهب ؟ الى المكسيك فى رحلة تستغرق اسبوعين ، وميلدرد سوف تقوم بالترجمة لهما لانها درست الاسبانية فى الجامعة

وفجاة سطع الضوء الكهربائى فى قاعة المطعم ، فالتفت جون اليه وقال :

ــ لقد استيقظت اليس ، هذا يعنى أن وقت شرب القهوة قد ازف ، هلم يا بمبلز ، تعال وساعدنى فى تركيب هذا المحور ، لقد اوشكنا على الفراغ

وفيما كان ضوء الفجر يتسلل بالنور والدفء على المنطقة ، قال بمبلز متسائلا :

ــ ترى كم عدد المسافرين الذين ستحملهم سيارة شركة جريهاوند

الينا فى الصباح ؟

وفجاة استبدت به فكرة طارئة نبعت من شعوره الطيب نحو المستر شيكو . ومن ثم وجد نفسه يقول مترددا :

ــ مستر شيكو ؟

وتوقف جون عن العمل برهة وقد ادرك ما فى لهجة بمبلز من رجاء . ترى اى شيء يريد الغلام الان ؟ اجازة أم زيادة فى الاجر !

وظل بمبلز صامتا كأنما يعجز عن النطق بما يريد ، فقال له جون :

ــ هه ! ماذا تريد ؟

ــ هل .. هل يمكن ان نتفق يا مستر شيكو ــ نتفق على الا تنادينى باسم بمبلز مرة اخرى ؟

فارتسمت أمارات الاندهاش برهة على وجه جون ، ولكنه لم يلبث ان استدار بوجهه الى عمله ثم قال ببطء :

ــ وما هو اسمك الحقيقى اذن !

ــ اد . ادوارد كارسون ، وأمت بصلة القرابة للسناتور كيت جارسون ، وقد كان زملائى فى المدرسة الابتدائية يسموننى باسم قريبى هذا ، اى كيته

وكان يتحدث بصوت هادىء ، ولكن صدره كان يرتفع وينخفض بسرعة ، وأنفاسه تتردد بصوت مسموع

وقال جون وهو يثبت المحور الاخير فى الترس :

ــ حسنا ! والآن ، جهز الشحم والزيت

وأسرع بمبلز الى الجراج ، ثم لم يلبث ان عاد بعلب الشحم وبخرطوم الزيت . وبعد ان فرغ الاثنان من هذه العملية ، قال جون للغلام :

ــ كيته ، نظف يديك وانظر هل أعدت اليس القهوة . أرجوك

وسار بمبلز فى هدوء نحو باب قاعة الطعام ، وقبل ان يصل اليه، وقف تحت سنديانة وهو يحس بدفء البهجة يسرى فى دمائه

والتفت فجأة نحو جون الذى كان قد بدأ يخرج من تحت السيارة، ثم قال فى صوت هامس :

ــ بارك الله فيك يا جون ، انك لرجل طيب القلب حقا

الفصل الثالث

اليس شيكو

عندما اطل قرص الشمس من وراء قمم الجبال في الشرق ، نهض جون شيكو واقفا بجانب السيارة ، ومسح القذر عن وجهه ويديه ، ثم تقدم نحو باب مقعد القيادة وأدار مفتاح المحرك ، ثم ضغط براحة يده على صمام « المارشي » ، فصدر ازيز خفيف فاذا بالمحرك يلتقط الشرراة الكهربائية فيدور ، وضغط جون على صمام البنزين قليلا قليلا ، وارتفع في الجو هدير المحرك برهة ، ثم رفع يده وتركه يدور برتابة وتنغيم . ونظر الى العجلات الخلفية المرفوعة عن الارض وهي تدور في الهواء ، ثم تنهد في ارتياح وهو يسمع حركة المحرك الرتيبة المنغمة

وفي الوقت نفسه ، تقدمت اليس شيكو ــ والتعب يبدو على وجهها بسبب نومها على المقعد طيلة الليل ــ وفتحت باب قاعة الطعام ، ووقفت برهة تنظر الى السيارة المتألقة في ضوء الشمس ، وتنصت الى هدير المحرك ، وترقب العجلات الخلفية وهي تدور في الهواء ، ثم عادت الى مكانها وراء مائدة الخدمة ، واغلقت صمام الموقد الذي كان ابريق القهوة فوقه ، ثم مسحت سطح المائدة بالمنشفة نصف المبللة ، وهنا لاحظت ان جانبا من كعكة جوز الهند الموضوعة في الوعاء الزجاجي قد اقتطع اثناء الليل

ودخل بمبلز ورائحة الشحم والوقود تفوح منه ، وجلس على احد المقاعد المستديرة المثبتة امام مائدة الخدمة ، وقال باسما :

ــ لقد فرغنا من اصلاحها والحمد لله

فقالت اليس في تهكم :

ــ فرغتم ! انت ومن ؟

ـ أوه ، اعنى المستر شيكو طبعا . لقد قام بكل النواحى الفنية فى عملية الاصلاح . حسنا ، ارجو أن تعطينى الآن قدحا من القهوة وقطعة من كعكة جوز الهند

فقالت وهى تزيح خصلة من الشعر عن عينيها :

ـ لقد اخذت جزءا منها اثناء الليل ، وهذا يكفى

ـ اضيفى ثمن ما اخذته فى قائمة حسابى ، انني أدفع ثمن ما آكله هنا ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، ولكن لماذا لاتكف قليلا عن آكل الحلوى طيلة النهار ؟ اراهن أن اكثارك من اكل الحلوى هو السبب فى كل هذه البثور التى تملأ وجهك . لماذا لا تريح معدتك منها قليلا ؟

فنظر بمبلز الى اصابعه التى تحمل اثار العمل ، ثم قال :

ـ ان الحلوى من الاطعمة التى تزود الانسان بالكثير من الطاقة الحرارية والنشاط والرجل الذى يعمل كثيرا يحتاج دائما الى مثل هذا النوع من الاطعمة ، ولهذا فانها تقدم للعمال فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، أى عندما تبدا طاقة النشاط فى الهبوط . وانا اعتقد يا مسز شيكو أنك فى حاجة الى طعام من هذا النوع اليوم

فردت عليه بجفاء قائلة :

ـ ان حاجتى الى طعام كهذا مثل حاجتك الى ...

ولم تتم الجملة ، وتركته يفهم منها ما يريد ، ثم صبت بعض القهوة وبعض اللبن فى قدح كبير ، ودفعت به الى بمبلز عبر مائدة الخدمة . ونظر الغلام برهة فى شرود ذهنى الى صورة الفتاة العارية المرسومة على لوحة اعلان بالقرب من جهاز الموسيقى والاغانى ، ثم وضع فى قدحه اربع ملاعق صغيرة من السكر وراح يقلبها ، وهو يقول باصرار :

ـ اريد قطعة من كعكة جوز الهند

ـ آه ، حسنا ، أنت وشأنك ، وأخشى أن تصاب بمرض البول السكرى يوما

واختلس بمبلز نظرة الى قوام اليس الجميل ، ثم اشاح بوجهه فى سرعة قبل ان تلمحه اليس ، واخيرا قال وهو يلتهم قطعة من الكعكة المقدمة اليه :

ـ الم يستيقظ هؤلاء الناس بعد ؟

ـ لا لا، ولكنى سمعتهم يتحركون فى غرفاتهم ، ويبدو أن أحدهم قد استعمل الماء الساخن الموجود فى الخزان

ـ لابد انها ميلدرد

ـ ماذا ؟

ـ اعنى الفتاة . لعلها استحمت بهذا الماء

فحدقت النظر فى وجهه وقالت بحزم :

ـ ركز تفكيرك فى طعامك الموفور بالطاقة الحرارية ولا تشغل نفسك بامور اخرى !

ـ اوه ، اننى لم اقصد شيئا ما ، ان فى هذه الكعكة ذبابة

وحملقت المسز شيكو فى صحنه ، فوجدت لدهشتها ذبابة تتلوى ، فغمغمت قائلة :

ـ عجبا !

ـ انها لا تزال ترفس

وتناولت السيدة صحن الكعكة والقت بما فيه فى صندوق القمامة وراءها ، ثم نفضت يديها وتلفتت حولها كأنما تبحث عن المنفذ الذى جاءت منه الذبابة

وقال بميلز :

ـ اذا عن قطعة كعكتى ؟

ـ لسوف اعطيك قطعة أخرى بدلا عنها ، لست أدرى لماذا انت الذى يسقط الذباب فى طعامك ؟ !

ـ لانى سعيد الحظ دائما

ـ ماذا ؟

ـ اقول لانى ...

فقالت وقد بدا توترها العصبى يزداد :

ـ سمعت ما قلت ، ويحسن أن تحذر فى اقوالك والا وجدت نفسك خارجا من هنا بأسرع مما ينطلق الخائف من النار العالقة بملابسه - فأنا لا يهمنى ان كنت ميكانيكيا بارعا أم لا ، وانما أنت فى نظرى مجرد غلام ثرثار .. دميم الوجه

وكان بميلز يحنى رأسه امام غضبها المتزايد وهو مندهش لهذه

الثورة النفسية المفاجئة ، واخيرا قال مضطربا :

ـ انني لم اقل شيئا ، ألا يستطيع الانسان ان يمزح قليلا ؟

وأدركت اليس أنها بلغت من الناحية النفسية هذه النقطة التى قد تنطلق بعدها فى ثورة عصبية رهيبة تشمل كل كائن حى حولها ، أو أن تتمالك نفسها وتخفف من حدة توترها ، وتعود الى الهدوء تدريجيا . واخذ عقلها يحلل الموقف بسرعة :

ان زوجها ايضا لم يقض ليلة مريحة ، وقد بذل جهدا عنيفا لاصلاح السيارة ، وان عليه ان يمضى بها فى الموعد المحدد بعد وصول سيارة شركة جريهاوند ، فاذا هى أثارت ضجة لا مبرر لها ، فانه قد يثور ايضا ويضربها . وقد ضربها ذات مرة ، ولم تكن الضربة عنيفة ، وانما كانت من القوة بحيث ظنت انها ستقتلها . ثم هناك الخوف الذى لا يفارقها ابدا ، الخوف من ان يهجرها جون ذات يوم . لقد عاش مع نساء كثيرات وهجرهن ولكنها لا تعرف كم عددهن ، لانه لم يتحدث عنهن ابدا . ولكن رجلا له مثل جاذبيته لابد وأن يكون قد عرف فى حياته نساء كثيرات . لقد خطر لها هذا كله فى لحظة خاطفة ، قررت بعدها ان تهدىء من ثائرتها ، وان تتمالك اعصابها وسرعان ما لانت ملامح وجهها ، فتناولت السكين وقدمت لبمبلز قطعة كبيرة من الكعك ، وهي تقول فى شبه اعتذار :

ـ ان أعصابنا جميعا متوترة اليوم

فرفع بمبلز عينيه اليها بسرعة ، ولمح بعض تجاعيد السن على عنقها ، ولاحظ غلظة اجفانها ، ورأى يديها وقد فقدتا طراوتهما وليونة اصابعهما وأحس بالاسف من اجلها . لقد ادرك فجأة أن شبابها ولى ، والشباب فى رأيه هو الشىء الوحيد المهم فى الحياة ، فاذا ضاع ، ضاعت معه الحياة . لقد نال فى ذلك الصباح نصرا عظيما مع جون ، وها هو ذا الآن يرى ما يبدو على اليس من ضعف وتردد فلماذا لا ينتزع نصرا آخر ؟ وعندئذ قال :

ـ لقد أكد لى المستر شيكو أنه لن يناديني باسم بمبلز مرة أخرى

ـ لماذا ؟

ـ لانى طلبت منه ألا يناديني بهذا الاسم . انني أدعى ادوارد ، وكانوا فى المدرسة يسمونني كيت ، اى باسم قريبى السناتور كيت كارسون

ـ وهل يناديك جون باسم كيت ؟
ـ نعم

ولم تفهم اليس فى الواقع ماذا يقصد بمبلز . وكانت فى الوقت نفسه قد سمعت حركة فى غرفة النوم وراءها ، سمعت وقع اقدام واصوات حديث خافتة . ولما اصبحت الآن شاعرة بوجود هؤلاء الغرباء ، احست بمزيد من الميل الى بمبلز ، لانه ليس بالنسبة اليها غريبا . ومن ثم قالت :

ـ حسنا ، سوف اناديك باسمك

وكانت الشمس المشرقة قد بدات فى خلال هذه الفترة تغيم وراء سحب متكاثفة بسرعة ، وفجاة قصف الرعد من بعيد ، فمضى بمبلز الى الباب وفتحه وأطل برأسه الى الخارج ، ثم لم يلبث ان تراجع بسرعة حين وجد الامطار قد بدات تنهمر بغزارة متزايدة . وقبل ان يغلق الباب لمح جون وهو يحتمى من المطر المفاجىء داخل السيارة التى كانت عجلاتها الخلفية لا تزال تدور فى الهواء ، ثم رآه وهو يثب منها ويسرع الى قاعة المطعم ، فبادر هو ـ اى بمبلز ـ الى فتح مصراعى الباب لجون الذى مرق منهما مسرعا ، ولكن ملابس العمل كانت قد تبللت رغم المسافة القصيرة الواقعة بين السيارة والباب .

وقال جون وهو ينفض بعض قطرات المطر عن ملابسه :

ـ يا الهى ، انها لامطار غزيرة مفاجئة

وحجب جدار المطر الرمادى منظر الجبال البعيدة ، وملأ المكان بضوء معدنى قاتم ، واثقل اوراق الزهور فانحنت تحت وطأته ، ولم تلبث الارض أن تشبعت به ، فأخذ الفائض منه يجرى فى جداول صغيرة متشعبة الى الاماكن المنخفضة ليتجمع فيها ويصنع بركا صغيرة ، وظل الرعد يقصف بشدة فوق سقف قاعة الطعام فى ريبلز كورنر

وكان جون قد جلس الى مقعد بالقرب من احدى النوافذ ، وراح ينظر الى وابل المطر المنهمر ، وهو يشرب القهوة الممزوجة باللبن ويمضغ قطعة من فطير جوز الهند . ولم تلبث نورما أن اقبلت وراحت تغسل الاطباق القليلة فى الحوض الصغير النظيف الواقع

وراء مائدة الخدمة

وقال جون لها :

ــ اتسمحين لي بقدح قهوة آخر ؟

فتقدمت نحوه من الجانب القريب من مائدة الخدمة ، وفيما هي تقدم اليه قدح القهوة ، ارتعدت يدها وانسكب قليل منهــا في الصحن ، فتناول جون فوطة من الورق الخفيف وازال بها القطرات المسكوبة وهو يقول للفتاة المضطربة في رفق :

ــ انك لم تنالى كفايتك من الراحة الليلة ؟ أليس كذلك ؟

وكان وجه الفتاة شاحبا يبدو عليه الارهاق ، وثوبها مكمشا ، وترتسم عليها هذه السمات التي تنم على أنها ستفقد شبابها قبل الاوان . وقد أجابت على جون قائلة :

ــ لم أستطع النوم كثيرا هذه الليلة ، حاولت ان أنام على الارض، فلم أستطع

ــ حسنا ، سنبذل الجهد حتى لا يتكرر ما حدث الليلة . كان ينبغي أن أستاجر سيارة لتمضي الى سان سيدرو

وقالت اليس وقد بدات اعصابها تتوتر مرة اخرى :

ــ انني لا أدرى لماذا أصررت على السماح لهم بالنوم في أسرتنا ؟ هل كانوا هم الذين سيقومون بالعمل هنا اليوم ؟ أما كان يكفى أن يناموا هم على المقاعد ؟

فقال جون بهدوء :

ــ آه ، فاتتني هذه الحقيقة

ــ لم يهمك كثيرا ان تعطى سرير زوجتك لينام عليه الغرباء . ولعنك لن تتردد في أن تعطيه للغير في أي وقت آخر ..

وشعرت اليس ان زمام اعصابها يوشك ان يفلت من يديها مرة أخرى ، وأن نيران الغضب تندلع في صدرها . ولم تــكن هي تريد أن تفقد السيطرة على نفسها حتى لاتفسد كل شيء في يومهــا ذاك

وفي هذه اللحظات كان المطر ينهمر على سقف المطعم المنحدر ذي الجوانب المصــــنوعة من الآجر ، وكانت نقراته على السقف تزداد لحظة بعد أخرى . هذا وجون جالس يتأمله من وراء النــافذة وقد ارتسمت على شفتيه هذه الابتسامة الخفيفة الشاحبة التي تختشاها

اليس . وكانت تعرف : بالتجربة ، أنه حين يبتسم هكذا ، فهذا يعني أنه ينظر اليها على أنها « عينة » من النساء .. على انها امرأة غاضبة بين ملايين النساء اللائي يغضبن كل يوم ، واللائي ينبغي أن يكن موضع الدراسة والتحليل والتسلية . وكانت تعرف ايضا ان الفارق بينها وبينه كبير في النظر الى الامور . فبينما هو يملأ عليها حياتها ويحجب عنها كل شيء عداه ، كانت هي ـ كما تحس ـ لا تحجب عنه شيئا . انها تشعر أنه لا يراها فقط ، وانما يرى خلالها ، ويرى ما حولها ، وانها لتذكر ما شعرت به من فزع حينما ضربها أول مرة ، انها لم تفزع من الضربة نفسها ، بل على النقيض ، لقد شعرت بعدها بالرضا والابتهاج والاثارة العاطفية ، وانما الذي أفزعها حقا أن جون ضربها وكأنما هو يسحق حشرة صغيرة لاقيمة لها . انه لم يهتم كثيرا بعد ذلك ، بل انه لم يكن غاضبا جدا حين ضربها . وانما كان فقط متوتر الاعصاب ، وكأنما قد اراد أن يقول لها « اسكتي » . ولم تكن اليس تريد في ذلك الحين الا أن تجذب انتباهه اليها ، كما أرادت الآن . ولكنها أدركت من نظرات عينيه أنه انفلت منها . واخيرا قالت بصوت متردد :

ـ لقد جاهدت في تأثيث غرفة نوم جميلة لنا .. غرفة بسجادة ، ومتكأ ، وستائر ، ومقاعد وسرير كبير ، ثم اذا بك تقدمها هكذا ببساطة الى مجموعة من الغرباء ليناموا فيها ، هذا بينما تترك زوجتك تقضي الليل كله على مقعد !

ورفع جون عينيه الى نورما وقال :

ـ نورما ، هاتي قدح قهوة آخر ، واكثري من اللبن فيه أرجوك

وأحست اليس بالغضب يفور في نفسها ، ولكن جون التفت اليها وقد تغيرت نظرته مرة اخرى ، مما جعلها تشعر انه في هذه المرة يراها حقا ، وفجأة ابتسم وقال برفق :

ـ ان ما حدث في الليلة الماضية لا يضيرك ، فانه سيضاعف متعة النوم في الفراش هذه الليلة

وكتمت انفاسها فجأة ، وغمرتها موجة حارة جعلت غضبها يتحول فجأة الى رغبة جنسية ، فابتسمت في عينيه ، ولعقت شفتيها وقالت هامسة بصوت يسيل رقة ونعومة :

ـ يا خبيث !
ثم تنهدت بعمق وأردفت قائلة :
ـ اتريد بيضا ؟
ـ نعم ، بيضتان مسلوقتان
ـ اتحب ان يكون معهما كمية من السجق !
ـ لا ، مجرد قطعة من الخبز ، وجانب من كعكة التفاح
وقالت آليس وهى تقدم هذه الاشياء :
ـ لماذا لم يخرجوا بعد ؟ أننى أريد الذهاب الى الحمام
فقال جون :
ـ يبدو من تحركاتهم فى الداخل انهم على وشك الخروج
وكانت حركة النزلاء فى غرف النوم مسموعة بوضوح ، فقد سمع الجميع فى الخارج ، صوت باب يفتح فى الداخل ، ثم صوت سيدة ، وهى تقول بحدة :
ـ ما هذا ؟ كان يجب ان تنقر على الباب
ثم صوت رجل يجيب :
ـ اننى آسف ياسيدتى ، ان المنفـــذ الآخر للخروج من غرفتى هو النافذة
ثم صوت رجل آخر يقول بلهجة تنم عن السلطة والنفوذ :
ـ ولكن هذا لم يكن يمنعك من الطرق على البـاب قبـل ان تفتحه يا صاحبى ، آه ، هل أصيبت قدمك بشىء ؟
ـ نعم
ولم يلبث الباب الواقع وراء مائدة الخدمة ان انفتح وظهر منه رجل قصير راح يقبل على قاعة الطعام ، وكان مرتديا بذلة كاملة ، وقميصا بني اللون من النوع الذى يرتديه الاشخاص الكثيرو السفر والتنقل ، والذى يسمي « قميص الالف ميل » لانه يتحمل الاتربة والغبار ، ولهذا السبب نفسه كان يرتدى بذلة من اللون المعروف باسم « الملح والفلفل » . وكان وجهه حاد الملامح ، متألق العينين ، على شفته العليا شارب كالدودة السوداء تبدو ـ عندما يتحدث ... كأنها تزحف ! وكان فى جملته يبدو فطينا ، لطيفـــا ، على شىء من الوداعة التى لا تخلو من الثقة بالنفس . وقد قال هذا الرجـــل

بتقدم فى غرفة الطعام :

ـ طاب صباحكم جميعا ، اننى لا ادرى اين نمتم ؟ واراهن انكم قضيتم الليل جالسين

فقالت آليس بمرارة :

ـ وهذا ما حدث فعلا

واسرع جون يقول بتلطف :

ـ حسنا ، حسنا ، لسوف نعوض تعبنا الليلة بالنوم مبكرا فى هذا المساء

ـ هل اصلحت السيارة ؟ أترى أنه من الممكن السفر فى هـــذا المطر ؟

ـ بكل تأكيد

وعاد الرجل يسير فى القاعة وهو يعــرج قليـــلا حتى جلس فى أقرب مقعد اليه وأسرعت نورما تقدم له قدح ماء وأدوات الطعـــام والمنشفة ، ثم تقول :

ـ أتريد بيضا ؟

ـ نعم ، بيضا مقليا ، وسجقا ، ورقائق خبز بالزبـد . ولا تنسى أن تكثرى كمية الزبد عليها

ثم رفع قدمه قليلا وراح يتأملهـــا فى ألم وتوجع ، وعندئذ قال له جون :

ـ هل أصبت بالتواء فيها ؟

وفى تلك اللحظة ، فتح الباب مرة أخرى ، وخرج من مثابة النوم رجل متوسط الطول ، يضع نظارة على عينيه ، ويرتدى ملابســـه بعناية ملحوظة ، وتبدو عليه سمات الوقار والاعتداد بالنفس . وكان كل شيء فيه ينم على أنه من رجال الاعمال . وبدون ان يحيى أحدا ، قال :

ـ ان المسز بريكارد ، زوجتى تريد بيضا مقليا ، ورقائق خبز بالمربى ، اما ابنتى المس بريكارد فهى لا تريد غير كوب من عصـير البرتقال وقدح من القهوة ، أما انا فاريد طبق كريمة بالمكسرات ، وبيضا مقليا ، ورقائق خبز بالزبد ، وقهوة بوســـتون ، اى قهوة نصفها لبن . . يمكنكم احضار هذا كله الينا على صحفة كبيرة

وعندئذ قالت آليس له في غضب وحدة :

ـ اننا لا تقدم الطعام الى احد بهذه الطريقة ، يحسن أن تأتوا وتتناولوا طعامكم هنا ، على احدى الموائد

فنظر المستر بريكارد اليها ببرود وقال :

ـ لقد احتجزنا هنا رغما عنا ، وهذا يعني ضياع يوم كامل بلا أية فائدة . واذا كانت السيارة قد تعطلت ، فلست انا المسئول عن ذلك ، وان اقل ما يجب ان تفعلوه لنا هو ان تأتوا بالطعام الينا في غرفة النوم ، ان زوجتي تشعر بالتعب ، ولم اتعود انا على الجلوس في مقاعد من هذا النوع السوقي ، وكذلك الحال مع المسز بريكارد

فأحنت المسز آليس رأسها كما تفعل البقرة الغاضبة وقالت :

ـ اسمع ، انني أريد الذهاب الى الحمام لاغسل وجهي ولكنكم تعترضون سبيلي

فلمس المستر بريكارد نظارته بحركة عصبية ثم قال :

ـ آه ، فهمت

ثم تلفت حوله وقد سرى في جسمه احساس بعدم الثقة والاطمئنان . وكان المستر بريكارد فعلا من رجال الاعمال ، ورئيس شركة متوسطة الحال ، ولم يحدث ابدا ان وجد نفسه وحيدا في أي موقف ، فانه يشترك في العمل مع مجموعة من رجال الاعمال امثاله ، نفس التفكير ، ونفس النظرة الى الحياة ، وهو يتناول عادة طعام الغداء مع زملاء مثله في ناد يضم أعضاء مثله ، وهو يقضي سهرات مع اشخاص من طبقته ، ومن مستواه الفكري ، من الوسط الذي يعمل فيه - وعلى الجملة فهو أينما ذهب لا يكون وحيدا ، أو فردا ، وانما هو وحدة في مجموعة يتحرك افرادها معا ، ويفكرون معا ، ويعملون معا ، ويدينون بنفس المذهب السياسي ، وبنفس العقيدة الدينية . ولم يحدث بطبيعة الحال ان تعرضت آراؤه للنقد او التجريح لانه يستمدها من المجموعة التي يعيش فيها ، انه يقرأ الصحف التي يصدرها حزبه ، والكتب التي تختارها لجنة ثقافية تعرف ميوله ، وهو يكره الاجانب والبلاد الاجنبية لانه يجد من العسير عليه ان يعرف مكانه من هذه البلاد

وسكانها . وهو ايضا لا يفكر فى الخروج على مجموعته ؛ انه حقا يجب ان يصبح فى موضع الرئاسة منها يوما ، ولكن دون أن يخرج عنيها . واذا ذهب الى مسرح استعراضى حيث كئوس الخمر المترعة والفتيات العاريات تماما على المسرح ، فانه يضحك عاليا ويصفق طويلا ، ولكن لا يجب أن ينسى أن المسرح فى هذه الليلة يكون ممتلئا بخمسمائة رجل من نوع المستر بريكارد

وها هو ذا الآن ، بعد ان سمع كلمات المسز أليس ، يتلفت حولهفي حيرة وقلق بعد أن وجد نفسه وحيدا ، ليس بجانبه آخر . وتركزت نظراته برهة على الرجل القصير ذى البذلة الرمادية ، واخيرا هز كتفيه وهو يشعر بالكراهية لهؤلاء الناس ، ولاجازته أيضا ، بالرغبة في العودة الى غرفة النوم واغلاق الباب . ولكن هذه السيدة ذات اللسان الحاد تريد ان تغسل وجهها في الحمام ، ومعنى هذا أنه لا حيلة له في الامر ، وان عليه أن يخرج مع زوجته وابنته الى قاعة الطعام ولكن المستر بريكارد في اعماق نفسه وحقيقة امره ليس هكذا حقا . لقد حدث أن أعطى صوته ذات يوم لمرشح لا يدين بمذهبه السياسي ، وهو النائب أيوجين ديبز . ولكن هذا حدث منذ أمد بعيد وحقيقة الامر ان كل واحد في مجموعته يراقب الآخر ، ومن ثم فان اى تغيير فى تصرف احدهم يعرف فورا ، ويوضع على بساط البحث والمناقشة ، فاذا تكرر هذا التصرف المغاير الخارج عن قواعد المجموعة وتقاليدها ، فان صاحب هذا التصرف سيجد نفسه منبوذا لا يقبل احد ان يتعامل معه . ومقابل هذا فان الذى يسير فى ركب المجموعة ، من حقه ان يتمتع بحمايتها له وهذا ما يفعله المستر بريكارد . لقد تخلى عن حريته ، ثم نسى كل شيء عنها . وهو حين يتذكر تصويته في جانب أيوجين ديبز يدرك أنه لم يفعل هذا الا بدافع من طيش الشباب ، لقد صحبه جماعة من أنصار أيوجين الى مسكن احدى الغوانى المشهورات ، وهناك سكر معهم وقد اراد ان يثبت لهم أنه لايقل عنهم شبابا وحيوية واقبالا على الحياة ، وبعد ان أمضى الليل مع الغانية الحسناء ، اعطى صوته لايوجين

وانه يبتسم فى استهتار كلما طافت به هذه الذكرى من ذكريات الشباب : ولكنه يبتسم اطلاقا كلما تذكر ابنته ميلدرد وتصرفاتها

كفتاة عصرية متحررة

انها تقضي اوقاتها مع اشخاص خطرين في الجامعة : مع طلبة وأساتذة يعتبرون من ذوى الاراء التقدمية الالحادية . واخطر من هذا انها تأبى ان تناقش أباها في الشئون السياســــية والمذاهب الاجتماعية ، وكأنما تعرف سلفا ان المناقشة معه لا تجدى ، وانه لن يتزحزح عن آرائه ايا كانت قوة الحجج التى ستسوقها اليه لتأييد آرائها

ولكن الشيء الوحيد الذي يخفف من شعوره بالقلق على ابنته هو ان الزواج وتبعاته سوف تهدىء من فورة آرائها وعنفها

وكان المستر بريكارد في طريقه مع الاسرة الى المكسيك عندما تعطلت السيارة . والواقع أنه كان ذاهبا رغما عنه ، وانما اكراما لابنته فقط . ذلك انه كان يكره بلاد المكسيك

وقال اخيرا وهو يتناول نظارته ويمسح زجاجها بمنديله :

ـ حسنا ، سوف اخبر زوجتي وابنتي بالامر ، اننا لم نكن نعرف اننا أزعجناكم الى هذا الحد

وعاد المستر بريكارد الى غرفة النوم ، حيث اخذ يتحدث بصوت مسموع مع زوجته وابنته شارحا لهما حقيقة الموقف . وفي هذه اللحظة ، نهض الرجل القصير من مقعده وتقدم وهو يعرج بألم شديد الى مائدة الخدمة ، وتناول اناء السكر ، وعاد به الى مقعده حيث تهالك عليه وهو يتوجع

وقالت نورما في عطف شديد :

ـ كان في مقدوري أن احمل هذا الاناء اليك اذا شئت !

فقال لها وهو يحاول ان يبتسم :

ـ لم أرغب في ازعاجك

ـ لا ، لا ، أبدا

واعاد جون قدح القهوة الفارغ الى مكانه

وقال بملل :

ـ اريد قطعة اخرى من كعكة جوز الهند هذه

وقطعت اليس ، وهي شاردة الذهن ، شريحة كبيرة من الكعكة وقدمتها اليه وسجلت ثمنها في دفتر حسابه

وقال جون للرجل القصير وهو ينظر الى قدمه اليسرى فى الحذاء الجلدى الفاخر :

ـ يبدو ان اصابة قدمك بالالتواء مؤلمة جدا

ـ لقد سحق اصابع قدمى رجل بدين جدا منذ يومين . اتحب ان ترى الاصابة ؟ ها هى ذى

وفى تلك اللحظة عاد المستر بريكارد وجلس الى المائدة الثالثة . بينما كان الرجل القصير يخلع حذاء قدمه اليسرى ، ثم نزع جوربه برفق ووضعه بجانبه ، فظهرت قدمه مربوطة بضمادة عليها آثار دماء

وقالت اليس بسرعة وجزع :

ـ اوه ، لا داعى لان ترينا الجرح . ان منظر الدم يخيفنى جدا

ـ يجب ان اغير الضمادة على كل حال

وانكشفت قدمه أخيرا ، فاذا الاصابة رهيبة دامية ، واذا الاصبع الكبيرة ، وأصبعان بجانبها منسحقة تماما بحيث تمزق اللحم حولهما

وبعد ان دنا بميلز من الرجل ، وتسللت تورما مقتربة منه ـ هتف جون قائلا فى قلق شديد :

ـ ارى ان اصابتك خطيرة ؟

ـ نعم ، انها خطيرة فعلا كما ترى

ـ يجب ان تعرضها على طبيب فى اول فرصة

فضحك الرجل القصير بابتهاج ، وقال :

ـ هذا كل ما كنت اريد ان اسمعه

ثم وضع طرف اصبع يده تحت شىء ما فى قدمه ، واذا بقالب من البلاستيك ينفصل عن القدم المصابة ، او التى كانت تبدو مصابة ، واذا القدم فى الواقع سليمة تماما ، واذا هو يمسك بيده قالبا على هيئة نصف قدم من البلاستيك يمثل اصابة خطيرة فى الاصابع الثلاثة . اما الدماء القانية فكانت نوعا من الاصباغ التى تنساب بطريقة آلية فى القالب

وضحك الرجل القصير عاليا ثم قال :

ـ ما رايكم فى هذه الخدعة ، اليست متقنة الصنع ؟

ثم اردف قائلا بعد ان اقترب المستر بريكارد منه فى اندهاش :

ـ انها من انتاج شركة العاب التسلية ، وتسمى « معجزة القدم المصابة »

وتناول من جيبه علبة مفرطحة وضع فيها « القدم » وقدمها الى جون قائلا :

ـ ارجو ان تقبل هذه هدية خالصة منى يا مستر شيكو ، لانك كنت معنا لطيفا واسع الصدر ، انني اقدمها لك مع تحيات آرنست مورتون مندوب شركة ألعاب التسلية والعجائب . ولهذه القدم ثلاثة احجام . الاول باصبع واحدة مصابة ، والثانى باصبعين ، والثالث ـ كهذا الحجم ـ بثلاثة اصابع ، وفى داخلها قطارة صغيرة ممتلئة بلون سائل احمر يتقاطر على الضمادة ببطء . وطريقة استعمالها موجودة داخل العلبة ، وما عليك الا ان تبللها قليلا بالماء الدافىء عند استعمالها اول مرة ، وعندئذ تلتصق بالقدم الطبيعية وتبدو تماما كأنها هى

وظل المستر بريكارد منتبها حديث المستر آرنست هورتون وهو يتصور نفسه فى ذات الوقت بين اصحابه وقد اخذ يخلع الحذاء ويتظاهر بالالم من اصابة قدمه . بل لقد راح يتمادى فى الخيال فيتصور نفسه وهو مع اعضاء مجلس الشركة ، بعد عودته من المكسيك ، ثم وهو يحدثهم عن « قطاع الطرق » الذين اصابوا قدمه اثناء فرارهم من بندقيته !

وفجاة قال لمندوب الشركة :

ـ كم ثمن القالب من هذه ؟

فقال آرنست هورتون :

ـ دولارا ونصف ، ولكننى اعتقد ان السعر سيرتفع بسرعة بعد أيام قليلة ، لقد كان الثمن منذ اسبوع دولارا واحدا

فتمتم بريكارد وقد اتسعت عيناه أعجابا ودهشة :

ـ احقا ! انه ارتفاع مشرف

ـ فى استطاعتى الان ان اطلعك على دفتر الاسعار والطلبات التى تنهال على من انحاء مختلفة

فاومأ بريكاردو برأسه وقال :

ـ اريد ان اشترى واحدا اليوم قبل ان يرتفع السعر غـــدا

ـ سأبيعك ما تريد بعد ان اتناول طعام الافطار . هل اعددت رقائق الخبز بالزبد يا آنسة ؟

فقالت نورما وهى تعود الى مكانها وراء مائدة الخدمة :
ـ انها فى الطريق اليك
وعاد آرنست هورتون الى بريكارد ، وقال له :
ـ ان النساب الذى اخترع هذه « القدم » ظفر بمكافأة ضخمة من الشركة
ـ طبعا ، طبعا ، وهو جدير بها . وانت ؟ لا شك انك تربح كثيرا من بيعها بالجملة
ـ نعم . وعدا هذا فان لدى اثنين او ثلاثا من أدوات التسلية الحديثة فى حقيبة العينات . وهى ليست للبيع الآن ، ولكن يمكن ان اعرضها عليكم واثير بها الكثير من ضحككم
وهنا قال المستر بريكارد :
ـ هل يمكن ان تبيعنى اليوم نصف دستة من هذه « الاقدام » ؟
ـ اتريدها كلها من حجم « الاصابع الثلاثة »
ـ لا ، لا ، اثنان من كل حجم
وكان المطر لا يزال منهمرا بغزارة ، وكانت اليس جالسة بالقرب من النافذة ، تنظر اليه بذهن شارد ، وامامها قدح قهوه ، وفى حجرها صحن صغير به قطعة من كعكة جوز الهند
وقال جون :
ـ سوف أعود الى السيارة لادير محركها بعض الوقت ولاطمئن على سلامة التروس مرة أخرى



الفصل الرابع

صيحة الجسد

ما أن خرج آل بريكارد من غرفة النوم حتى قالت نورما بسرعة :

ـ اريد أن اصفف شعري واغسل وجهى

ثم اسرعت نحو الباب المؤدى الى غرفات النوم ، ولكن أليس لحقت بها وقالت لها ببرود :

ـ انتظرى حتى اخرج انا من الحمام

ولم تجب نورما ، وانما سارت فى طريقها عبر غرفة نوم المستر والمسز شيكو ، ودخلت غرفة نومها هى ، واغلقت الباب وراءها بالرتاج . ثم نظرت الى سريرها المفرد الذى غادره أرنست هورتون دون أن يرتبه بعد ان نام عليه ، وكانت حقيبته الخاصة بالعينات موضوعة بالقرب منه

وكانت الغرفة ضيقة ، ليس بها غير نافذة واحدة تؤدى الى الممر الواقع وراء المطعم ، وقد اسرعت نورما فأغلقت المصراع الخشبى لهذه النافذة ، ثم مضت الى مرآة منضدة الزينة وراحت تتأمل وجهها برهة ، تم تناولت من صدرها مفتاحا صغيرا كان مشبوكا فى داخل الثوب بدبوس ، وفتحت قفل حقيبة ملابسها بعد ان جذبتها من تحت السرير ، وما أن رفعت الغطاء حتى برزت صورة كلارك جيبل فى أطار فضي ، فرفعتها ، ونظرت الى التوقيع الذى فى ذيل الصورة والذى يقول « مع اجمل الامانى : كلارك جيبل » وكانت الصورة والاطار والتوقيع تباع فى متاجر معينة بثلاثة دولارات

وبعد ان اطمأنت الى حليها الخاصة ، اعادتها الى مكانهـا فى الحقيبة ، ثم أغلقتها ، واعادت المفتاح الى مكانه من ثوبها ، ثم مضت الى المرآة مرة اخرى ، واخذت تبتسم لنفسها وتكشف عن اسنانها

المنظومة البيضاء ، ثم داعبت خصلات شعرها وتركتها تتهدل على جبينها ، وبعدئذ راحت على الضوء الرمادى المنساب من زجاج النافذة الى الغرفة ، تتأمل عينيها ، وتجذب اطرافهما ، ثم تعود وتبتسم ثم وقفت على طرفى قدميها ، تلوح بيدها لجموع بشرية وهمية تحييها ، ثم تمشط خصلات شعرها وترسم بقلم الحواجب حاجبيها ، ثم تنضد متمهلة ثوبها وتقف امام المرآة شبه عارية تتأمل كل لمحة من ملامح جسمها الشاب الملفوف ، ثم تمضى فى حركات رياضية لتجميل الساقين لانها كانت قد قرأت عن فوائدها فى مجلة سينمائية بقلم نجمة مشهورة بجمال الساقين ، ولو انها عرفت الحقيقة ، لعلمت ان النجمة المشهورة لها ساقان جميلتان حقا ، ولكنها لم تمارس تلك الرياضة ابداً ، بل ولم تكتب ذلك المقال !

وفجاة سمعت طرقا خفيفا على الباب ، ثم رات المقبض يتحرك مع شىء من الضغط ،كأنما يريد شخص ما ان يدخل، فاسرعت وارتدت ثوبها وحاولت أن تزيل الكحل عن حاجبيها ، ولكنها استطاعت فقط أن تلطخ به جبينها ، واخيرا فتحت الباب لتجد امامها ارنست هورتون ينظر اليها وشاربه الدودى يبدو — وهو يبتسم — كأنما يزحف على شفته العليا

قال معتذرا :

ــ كنت اظن الغرفة خالية . لقد جئت لآخذ حقيبة العينات

وأردف قائلا حين رأى نورما لا تفسح له الطريق ليدخل :

ــ لقد كنتم كرماء معنا ، وأنا لا أريد أن أزيد مضايقتكم

وتراخت اعصاب نورما قليلا ، وتراجعت الى الوراء لتفسح له الطريق ، ودخل هورتون الغرفة ومضى الى السرير وقال وهو يتناول الاغطية :

ــ كان ينبغى أن ارتب السرير قبل أن اغادر الغرفة ، اننى آسف

ــ حسنا ، دعه كما هو ، وسأقوم أنا بترتيبه

ــ أوه ، شكرا ، انك فتاة مهذبة ، بل انك لم تنتظرى حتى اعطيك البقشيش الذى وعدتك به . آه ، اننى كما ترين احسن ترتيب الاسرة

فابتسمت نورما وقالت :

ــ نعم ، نعم ، هذا واضح

فقال وهو ينحنى على حقيبة العينات الضخمة :

ــ الآن وقد فرغنا من السرير ، فهل تسمحين لى بفتح هذه الحقيبة ، اننى أريد منها شيئا

ــ افعل ما يحلو لك ، انها حقيبتك على كل حال

ورفع الحقيبة ووضعها على السرير ، ثم فك احزمتها الجلدية ، وفتح قفلها ، ورفع غطاءها ليكشف عن أشياء عجيبة مدهشة ، فقد رات نورما الوانا وفنونا من العــــاب التسلية والدعابة : مشابك سحرية ، ومناديل تتغير الوانها ، وسجائر تنفجر ، ومفرقعـــات مغناطيسية ، وصفافير ذات أصوات مضحكة ، وقبعات من الورق الملون ، وأزرار عجيبة الشكل . وكان هورتون يتناول فى تلك اللحظة ستة قوالب من « القدم المصابة » ويضعها فى أكياسها الشفافة ، واقتربت نورما منه بدافع من الفضول ، وعندئذ لم تلبث نظراتها ان وقعت على مجموعة من صور النجوم والكواكب

وفتحت الفتاة عينيها فى دهشة بالغة وهى ترى هذا النوع الجديد من الصور ، لقد رأتها صورا مصنوعة من الورق المقوى بطريقة تجعل الوجه يبدو طبيعيا مستديرا فيه عمق ، وكأنمـــا للصورة الابعاد الثلاثة المعروفة : الطول والعرض ، والعمق

وكانت صورة معبودها كلارك جيبل هى الاولى من بين هـــذه الصور العجيبة ، وقد بلغ من اتقان صنعها وطرافتها انها ظنت ، برهة ، أن كلارك جيبل « بدمه ولحمه » يطـــل عليها باسما من داخل الحقيبة

وتنهدت الفتـــاة فى عمق ، وبدات انفاسها تلهث وهى تنظر ، كالمسحورة ، الى هذه الصورة التى لم تر لها مثيلا من قبل ، ثم اذا بها تتناولها وتحملق فيها بنظرات الانسان الذى لا يشعر بشىء مما يدور حوله

وراقبها ارنـــست هورتون برهة ، حتى اذا تبين اهتمامها بالصورة ، قال :

ــ اليست هذه الصورة رائعة ؟ انها اختراع حديث ، الا ترين

كيف تشبه التمثال !

فاومات نورما براسها كانمــــا يعجز لسانها عن النطق . وعاد ارنست يقول :

ــ ان هذا النوع من الصور سوف يكتسح كل الانواع الاخرى فى خلال عام واحد ، انه نوع لا يتاثر بالرطوبة او الماء او الاحماض ، ولا يغير اللون ، وانما يعيش مدى الحياة كما هو . والصورة كما ترين مصبوبة ومصنوعة مع الاطار حتى لا تنفصل عنه ابدا

ولم تتحول نظرات نورما عن الصورة ، ولما حاول ارنست ان يأخذها منها ، تشبثت بها فى استماتة ثم قالت بصــــوت خافت مبحوح :

ــ كم ثمنها ؟

ــ انها ليست للبيع ، انها مجــــرد عينة اعرضها على اصحاب المتاجر

فعادت تقول وهى تشـــدد قبضتها على الصــــورة وتعض على نواجذها فى حالة من التوتر العصبى الشديد :

ــ كم ثمنها ؟

فهز أرنست كتفيه وقال :

ــ حسنا ، انهــا تساوى بالسعر القطاعى دولارين ، ولــكننى استطيع ان اقدمها اليك بدلا من البقشيش ، فما رايك ؟

فتألقت عيناها بالفرحة الطاغية ، ثم قالت وهى تضع الصورة على صفحة خدها

ــ شكرا ، شكرا جزيلا يا سيدى

ــ انى ارجو أن تنال هذه الصورة الجديدة مثل هذا الاعجاب من اصحابها الممثلين ، فاننى فى الطريق الى لوس انجلوس لاقضى اسبوعين

فقالت نورما وهى تخفى الصورة تحت اكوام ملابسها الموضوعة فى الحديقة :

ــ ومنها ستذهب الى هوليوود . اليس كذلك ؟

ــ أوه ، طبعا ، طبعا ، فان لى فيها اصدقاء كثيرين ، كما انهــا المدينة التى تروج فيها مثل هذه المستحدثات . واعتقد انى سالقى

فيها ما ارجو من نجاح ، لا سيما أن لى صديقا كان زميلا لى فى الحرب ، وهو يشتغل الآن فى احد الاستدبوهات

ـ فى أى استديو يعمل صديقك هذا ؟

فقال ارنست وهو يعيد العينات الى الحقيبة ليغلقها :

ـ فى أحد استديوهات مترو جولدوين ماير

ولم يسمع ارنست شهقة نورما وهى تقول بلهفة :

ـ وهل زرت صديقك فى هذا الاستديو كثيرا ؟!

ـ نعم ، ان ويلى ، اعنى صديقى ، قد أعطانى تصريحا أستطيع أن أدخل به الى الاستديو كلما شئت . وان صاحبى ويلى هذا الشاب محظوظ مع النساء والفتيات

وبدا الامتعاض على وجه نورما وهى تسمع الجــزء الاخير من الحديث ، ولكنها لم تلبث أن ابتسمت وقالت :

ـ هل يمكن ان تؤدى لى خدمة ؟

ـ طبعا ، طبعا ، ماذا تريدين ؟

ـ اذا اعطيتك خطابا للمستر جيبل ، وحدث ان التقيت به فى استديو شركة مترو ، فهل يمكن أن تسلمه اليه ؟

ـ ولكن من هو المستر جيبل ؟

فقالت فى حزم :

ـ المستر كلارك جيبل طبعا !

ـ أوه ، نعم ، اتعرفينه ؟

فأجابت نورما فى زهو :

ـ طبعا ، اننى ، ابنة خالته

ـ آه ، فهمت . لسوف أسلمه الخطاب حتما اذا التقيت به ، ولكننى قد لا التقى به لسبب ما ، فهلا يحسن ان ترسليه اليه بالبريد ؟

فضاقت حدقتا عينى نورما وهى تقول :

ـ انه عادة لا يتسلم كل الرسائل البريدية التى ترسل اليه ، ان سكرتيرته الخاصة تتسلمها وتمزق الجزء الاكبر منها

ـ عجبا ! لماذا ؟

ـ بدافع الغيرة

ـ حتى رسائل اقاربه ؟

ـ نعم

ـ هل قال لك هذا بنفسه ؟

ولم يسع نورما الا أن تتمادى فى اكذوبتها فقالت :

ـ آه ، طبعا ، طبعا . لقد ذهبت الى هوليوود وعرضت على ادوار هامة ، ولكن المستر جيبل نصحنى قائلا ان الافضل أولا ان أخوض الكثير من تجارب الحياة قبل ان احترف التمثيل ، لان مواهب التمثيل لا تصقلها الا التجارب والخبرات الكثيرة . وانا الآن فى فترة التجارب ، وانى اجد الكثير من هذه التجارب فى العمل بالمطاعم . نعم ، ان ابن خالتى على حق ، وانه لرجل عظيم نبيـــل كبير القلب اننى أعتبر المستر جيبل الضوء الذى تعيش فيه هوليوود كلها

واخفض ارنست هورتون عينيه عن وجه نورما وقد أدرك ان الفتاة توشك ان تفقد عقلها حبا لذلك النجم السينمائى ، وان ارنست ليفكر فى نوع هذا الحب العجيب الذى يملأ حياة فتاة كهذه بالنور والامل !

وقال اخيرا :

ـ لسوف أحمل اليه خطابك وأقول له انه من ابنة خالتك

فالتمعت فى عينى نورما نظرة قلق ثم قالت :

ـ لا ، انى أريد أن أجعلها مفاجأة له ، قل له فقط انه خطاب من صديقة ، ولا تقل له شيئا آخر أبدا

ـ حسنا ، سوف أفعل ماتريدين ، ولكن ، متى ستذهبين للعمل هناك ؟

ـ لقد طلب منى المستر جيبل ان انتظر سنة اخرى لانى لازلت صغيرة السن . ولكننى بدأت أضيق بحياتي هذه ، واتوق الى الحياة هناك ، فى هوليوود ، فى بيت من هذه البيوت الكبيرة الشبيهة بالقصور ، ذات الستائر المخملية ، والحدائق ، وأحواض السباحة ، والمقاعد الوثيرة ، والواقع انى اشتقت جدا لصديقاتى العزيزات : بيتى دافيز ، وأنجريد برجمان ، وجوان فونتين وغيرهن . آه ، يالهن من صديقات عزيزات ، وكم من ليال امضيناها معا ، وكم من افلام قمنا فيها بالادوار الرئيسية معــا ، وكم ضحكنا من هواة جمع

وهنا قاطعها ارنست هورتون قائلا فى دهشة مصطنعة :

ــ اوه ، هل افهم من هذا انك اشتغلت بالتمثيل فترة ما ؟

ــ نعم ، طبعا ، ولكننى كنت أحمل اسما آخر غير اسمى

ــ وما هو ذلك الاسم ؟

ــ لا استطيع ان اخبرك ، وانك الآن الشخص الوحيد الذى يعرف كل هذه الحقائق عنى هنا ، فهل ستخبر احدا بما قلت لك ؟

ــ لا ، لا ، مطلقا !

ــ هل ستحفظ سرى ؟

ــ بكل تاكيد ، فقط سلميتى الخطاب وأنا اسلمه بدورى له

وهنا سمع الاثنان صوت اليس وهى تقول بحدة بعد أن وقفت بالباب :

ــ تسلم ماذا ؟ لمن ؟!

ثم طافت بنظراتها المفعمة بالشك والريبة على ملابس نورما ، ثم تركزت على وجهها المضطرم احمرارا ، وأردفت قائلة بلجهة لهـــا دلالتها :

ــ ماذا تفعلان هنا فى غرفة النوم ؟

وانعقد لسان نورما من فرط الاضطراب والارتباك ، وقال ارنست هورتون لاليس التى وقفت واضعة يديها على وسطها :

ـ كنت آخذ بعض الاشياء من حقيبة العينات ، وقد طلبت منى ان احمل لها خطابا الى صديقة فى لوس انجلوس

ــ ألها صديقة فى لوس انجلوس ؟

ــ نعم ، وأنا أعرف صديقتها هذه

وهنا كان زمام الغضب قد أفلت تماما من اليس فصاحت قائلة :

ــ اسمع يا هذا ، اننى لا أريد منك ومن أمثالك أن تعبثوا بالعاملات هنا

فقال ارنست بلهجة احتجاج :

ــ اننى لم المسها ، نعم ، لم المسها !

ــ لم تلمسها ؟ اذن ماذا تفعل معها هنا فى غرفة النوم ؟ انظر الى وجهها ؟ انظر كيف يبدو الاضطراب عليها ؟

وارتعد صوت اليس بالانفعال ، وتهدلت خصلات شعرهـا على وجهها ، وبدت امارات الانهيار العصبى تتضح على كل تصرفاتها وهى تصيح قائلة :

ـ اننى لا اقبل هذا الوضع هنا ، لا أقبل أن تقوم اية عـلاقة مريبة بين زبائنى وعاملاتى ، ان هذا المكان نظيف ، وسيبقى نظيفا دائما ، اتفهم ؟ ألا يكفى أننا تنازلنا لكم عن أسرتنا طيلة الليل ؟

فصاح ارنست قائلا فى احتجاج :

ـ قلت لك انه لم يحدث بيننا شيء ، ألا تفهمين ؟

ولكن استنكار أرنست كان يرن فى الاذن ، من فرط اضطرابه ، وهو اقرب الى الاعتراف . أما نورما فقد وقفت مفتوحة الفم ، تصدر عنها أصوات أنين وعويل خافتة

وتقدمت اليس نحو نورما فى ثورة رهيبة وصاحت وهى تجمع قبضة يدها اليمنى بعنف :

ـ اخرجى .. اخرجى من هنا ، اخرجى ايتها الفاجرة من بيتى ، اخرجى الى العراء ، والى الامطار

وظلت نورما تتراجع فى فزع ، ثم اذا اليس ترسل صيحة رهيبة ، واذا صوت جون شيكو يهتف بها وهو واقف بالباب :

ـ اليس .. كفى !

وتوقفت اليس فجأة ، وتخاذلت ذراعها ، وتهدل فكاها ، وتحول غضبها الى فزع ، وهى تحملق فى وجهه ، ثم اذا بها تتراجع بعيدا عنه وتحاول أن تمرق من الباب الى غرفة نومها وهى تهمس مرتعدة :

ـ ارجوك ، لا تضربنى ، لا تضربنى

ولكن جون مد يده برفق وتناول ذراع اليس ، ثم قادها الى غرفة نومها واغلق الباب الفاصل بين الغرفتين

وكتم كل من ارنست هورتون ونورما انفاسهما ، وهما يتوقعان ان يسمعا صيحات اليس عندما تنهال عليها لكمات زوجها

ولكن جون كان فى تلك اللحظة يساعد اليس عـلى النـوم فى سريرهما

الفصل الخامس

همسات العاطفة

جلست برنيس بريكارد وابنتها ميلدرد وزوجها المستر بريكارد الى المائدة الصغيرة الواقعة على يمين باب الدخول الى قاعة الطعام . وكانت برنيس سيدة فى منتصف العمر جميلة الوجه ، بنفسجية العينين ، تضع عليهما نظارة طبية دائما

وكانت أنيقة فى ملابسها ، موفورة الجاذبية ، عذبة السمات ، تنم امارات وجهها عن الطيبة المتناهية ، وعن الميل الطبيعى الى اسداء الخير للناس

وكانت حياتها الزوجية بالنسبة اليها لطيفة هانئة ، فهى تحب زوجها ، وتعتقد انها تعرف مواطن ضعفه ، ونزواته ورغباته

وكان أصدقاء برنيس وصديقاتها يعتبرونها من ألطف السيدات ، بل ملاكا فى النقاء والطهر وحب الخير للجميع ، أما هى فكانت تقول انها سعيدة الحظ فى هذا الجانب من حياتها الخاص بالاصدقاء والصديقات ، لان القدر أنعم عليها بأخلص وأوفى وأحب الاصدقاء والصديقات فى العالم كله

وكان زوجها يحبها حبا هادئا .. يحب وسامتها ، واشراقة وجهها ، ونظافتها الدائمة ، وبراعتها فى ادارة شئونه المنزلية ، وطيبة قلبها التى تجعلها لا تشك فى أمره عندما يزعم لها أنه أمضى ليلته فى مناقشات طويلة مع أعضاء مجلس الادارة ، بينما يكون فى الواقع قد أمضى ليلة حمراء !

أما ميلدرد فكانت فتاة جميلة ، طويلة القامة ، أطول من أبيها ببوصتين ، وأطول من أمها بخمس بوصات ، وقد ورثت عن الام قصر النظر ولون العينين ، ومن ثم كانت تستعمل نظارة طبية

ايضا كلما أرادت أن ترى شيئا ما بوضوح . وكان لها قوام رياضي أنيق ، وساقان ملفوفتان قويتان ، وصدر بارز ، ولكنهـا لم ترث عن امها البرود الجنسي ، وانما كانت على العكس ، حارة العواطف، مشبوبة الاحساس . وقد مارست في حياتها الحب الجنسي مرتين عابرتين ، وأصبحت تهفو الى حب دائم من هذا النوع

وكانت ميلدرد في هذا الصباح ترتدي « بلوزة » حريرية ، و « جونلة » مزخرفة بخطوط رباعية الشكل ، وحذاء خفيفا بلا كعب . وكانت هي ووالدها جالسين الى المائدة الصغيرة بغرفة الطعام بالمطعم ، ومعطف مسز بريكارد الفراء الانيق معلق بعنـاية على مشجب بالقرب منها . وكان المستر بريكارد هو الذى اشرف بنفسه على وضعه في هذا المكان القريب ، لانه كان يشعر بالفخر والزهو كلما رآه أمامه سواء كان معلقا على مشجب أو على زوجته نفسها . وكان زهوه يتضاعف حين يرى نظرات الاعجاب ، او الحسد ، تتالق في عيون النساء ، وهن يرين هذا المعطف الانيق المصنوع من فراء الثعالب السوداء ، وهو نوع من الفراء نادر من جهة ، ومرتفع الثمن جداً من جهة أخرى

وكان الثلاثة قد سمعوا ، فى جلستهم هذه ، صيحة آليس العصبية الرهيبة التى أطلقتها فى غرفة نوم نورما . وقد صدمهم ما نمت عليه تلك الصيحة من حيوانية وحقد وغضب ، وجعلتهم يقتربون من بعضهم البعض فى حيرة وارتباك . وكانت ميلدرد قد أشعلت سيجارة وهى تتجنب نظرات أمها اللائمة ، والواقع انهـا لم تكن تجرؤ على التدخين أمام أمها الا فى الشهور الستة الاخيرة ، اى بعد ان بلغت من العمر الواحدة والعشرين ، اما أمام ابيها ، فقد كانت تدخن وهى فى السابعة عشرة !

وكان المطر عندئذ قد توقف عن الانهمار ، ولم يعد يرى فى الخارج الا القطرات المتساقطة من فوق السقف المنحدر لبناء الاستراحة ، أو من اغصان الشجر . أما الارض فكانت موحلة مشبعة بالماء ، واعواد القمح الممتلئة بعصارة الربيع قد خارت وتمددت على الارض فى أمواج ممتدة الى مدى النظر . وكان ماء المطر قد راح يتجمع وينطلق فى جداول صغيرة سريعة ويملأ كل

منطقة منخفضة في الحقول ، ويرتفع في البرك الواقعة على جانبي الطريق العام ، بل ويرتفع منها ويزحف على وجه الطريق نفسه

ورأت صفحة السماء تصفو من الغيوم التي تمزقت وتباعدت كتلها تاركة رقعا واسعة من الصفحة الزرقاء المضيئة ، بعضها صاف تماما ، وبعضها لا يزال محجوبا بغلائل من السحاب الرقيق . اما الهواء فقد سكن على الارض تماما وشاعت فيه رائحة العشب المبلل والجذور العارية

وفي تلك اللحظة كان بمبلز واقفا وراء مائدة الخدمة يحاول أن يحل محل المسز شيكو ونورما في خدمة الزبائن . ولم يحدث ابدا في حياته ان خطر بباله انه سيقف من تلقاء نفسه هذا الموقف الكريم . لقد كان يكره كعادته دائما مخدوميه ويتمنى اليوم الذي يجمع فيه من المال مايكفي للسفر الى هوليود والاقامة بضعة اسابيع ريثما يجد فيها عملا . ولكن ماحدث في ذلك الصباح كان لا يزال يرن في أذنيه وهو يقول له : « كيت » نظف يديك وانظر هل أعدت اليس القهوة لنا » انها أعذب جملة سمعها في حياته كلها وهو من ثم يريد ان يعرب عن اعترافه بجميل جون ، وقد قدم منذ لحظات عصير البرتقال والقهوة لاسرة بريكارد ، وها هو ذا يشرف على تجمير كسرات الخبز وقلي البيض في وقت واحد

وكان جون قد قال له قبل أن ينصرف الى غرفات النوم :

ـ لنأكل معنا بيضا مقليا ، فان طريقة صنعه سهلة ، وأنا احبه جافا بعض الشيء

واجاب بمبلز عليه قائلا :

ـ بكل تأكيد ياريس

ثم وضع الاناء على النار ، ثم كسر البيض في الزبد وتركه حتى بدأت رائحة احتراقه تتسلل الى القاعة

والواقع انه في تلك اللحظات كان مشغولا باختلاس النظرات الى ساقي ميلدرد حتى الى مافوق ركبتيها بقليل ، وكان الثوب القصير في الجهة البعيدة عن نظراته قد اشتبك في جانب المقعد وترك جانبا كبيرا من فخذها عاريا دون أن تشعر ، ولهذا قرر بمبلز أن يقوم بحركة التفات الى ذلك الجانب العاري ليشبع عينيه

دون أن يبــدو فى نظر الجميع وقحا . ورأى ان خير ما يمــكن ان يفعله هو ان يضع على كتفه فوطة ، وان يلتفت الى ذلك المكان ، ثم يجعل الفوطة تسقط على الارض ، فينحنى لالتقاطها ، وهكذا يستطيع ان يستمتع بنظرة مختلسة ضخمة !

ولكن رائحة احتراق البيض والخبز كانت قد ملأت جو قاعة الطعام ، وجعلت ميلدرد تنظر الى بمبلز لترى ماذا دهاه ، وكانت النظرة الاولى كافية لان تعرف أن الفتى لا يكاد يستطيع أن ينتزع عينيه عن ســاقيها ، فقد أدركت الامر ، وحلصت جانب الثوب ، وغطت بطرفه ركبتيها ، وهكذا فشلت حركة الالتفــات التى أراد بمبلز أن يقوم بها

واقبل جون بهدوء من غرفات النــوم ، وبعد ان تشمم الجــو برهة ، قال لبمبلز :

ــ أوه ، يا لله . ماذا نفعل يا كبت ؟

فقال بمبلز بقلق :

ــ احاول ان أساعدكم

فابتســم جون وقال :

ــ أوه ، شكرا ، ولكنى ارى انك تستطيع مساعدتنا فى أى شىء الا قلى البيض

ثم مضى الى اناء البيض المحترق ، ورفعه عن النار ، ومضى به الى الحوض وفتح عليه صنبور الماء . واخيرا قال :

ــ اذهب يا كيت وحاول ان تدير محرك السيارة ، ولكن حذار ان تجعلها تشرق بالبنزين اذا لم يدر المحرك من الوهلة الاولى . وعندما يدور دعه فى حالة دوران هادىء بضع دقــائق ، ثم أسرع حركة الدوران قليلا قليلا حتى يسخن الموتور

ــ هل انظر فى مســتودع الشحم والزيت بها لارى هل هو ممتلىء

ــ نعم ، نعم ، انك تعرف عادة ما ينبغى عمله عند القيام بالرحلة فى هذه الساعة

ونسى بمبلز مسالة ساقى ميلدرد . وهو يشعر بالابتهاج لهـــذا الثناء الذى يسبغه عليه جون . اما هذا فقد أردف قائلا على سبيل الدعابة :

ـ لا اعتقد ان احدا سيسرق هذه السيارة ، ولكن يحسن أن تحرص على مراقبتها على كل حال

وضحك بمبلز عاليا لدعابة رئيسه ، وبعد أن مضى الى الخارج مختالا ، قال جون للموجودين فى قاعة الطعام :

ـ ان زوجتى تشعر ببعض التعب . وانى مستعد أن أقدم اليكم اية خدمة ايها السادة ، فماذا تريدون ، مزيدا من القهوة ؟

فقال المستر بريكارد :

ـ نعم ، وكان ذلك الفتى يحاول يقلى لنا بعض البيض فاحترق منه . ان زوجتى تحب البيض المقلى غير الجاف

فقال المستر بريكارد مستنكرا :

ـ والمهم أن يكون البيض طازجا

ـ انه طازج تماما يا سيدتى ، لقد اخرجته الان من الثلاجة

فقال المستر بريكارد مستنكرا :

ـ اننى لا أحب البيض المختزن فى الثلاجات

فقال جون :

ـ هذا ما لدينا فقط ، اننى آسف ، لا أستطيع ان أخدعك

وهنا قالت المسز بريكارد :

ـ اذن يكفينى فى هذه الحالة قطعة من فطيرة الشليك

وقال المستر بريكارد :

ـ وأنا أيضا

ونظر جون باعجاب صريح الى ساقى ميلدرد ، ورفعت هذه عينيها اليه ، وراحت نظراتهما تلتقى ببطء ، ولم تلبث ميلدرد أن اضطرم وجهها خجلا وهى ترى امارات الاعجاب الشديد تطل من نظراته القوية النفاذة ، وفجاة أحست برعدة تسرى فى جسمها كأنما لمست سلكا كهربائيا ، ثم أشاحت بوجهها فى ارتباك وقالت :

ـ أوه ، اننى اريد مزيدا من القهوة ، و .. وقطعة من فطير الشليك أيضا

وهنا ارتفع فى الخارج زفيف محرك السيارة ، فانصت جون الى رتابة حركته وانتظام نغمته ثم قال راضيا :

ـ عظيم جدا

وخرج ارنست هورتون فى هدوء يكاد يقرب من الخلسة ، من غرفات النوم ، واغلق الباب وراءه برفق ، وتقدم الى غرفة الطعام حيث وضع على مائدة المستر بريكارد اكياس القوالب الستة وهو يقول :

ـ هذه هى ستة قوالب

فأخرج المستر بريكارد حافظة نقوده وتناول منها ورقة من فئة العشرين دولارا وقال :

ـ ألديك باقى هذه ؟

ـ لا

فقال المستر بريكارد لجون :

ـ الديك فكة هذه الورقة يا مستر شيكو ؟

فحرك جون زرا فى آلة تسجيل النقد ثم نظر فى الدرج وقال :

ـ يمكننى أن استبدلها بورقتين كل منهما من فئة العشرة دولارات

وهنا قال أرنست هورتون :

ـ هذا يكفى ، فان لدى دولارا أعطيه للمستر بريكارد وآخذ احدى الورقتين ، لان ثمن هذه القوالب الستة تسعة دولارات

وتناولت المسز بريكارد أحد الاكياس وقالت :

ـ ما هذا ؟

فانتزعه زوجها من يدها وقال بسرعة :

ـ لا تسالى عنها الان

ـ لماذا ؟!

ـ سوف أخبرك فيما بعد

فالتمعت عيناها بالترقب ، وقالت :

ـ أهى نوع من المفاجآت ؟

ـ نعم ، وعلى الفتيات الصغيرات الا يحشرن أنوفهن فيما لا يعنيهن

وكان المستر بريكارد يدلل زوجته عادة بقوله لها : يا « فتاتى الصغيرة »

وتراقص صوتها بالغبطة وقالت :

ـ ومتى سيسمح للفتيات الصغيرات برؤية هذه المفاجأة ؟

فدس الاكياس فى جيب معطفه الكبير ، وهو يقول :

ـ فى الوقت المناسب

وكان يتصور منظرها عندما يعود ذات يوم وهو يعرج ، ثم وهو يخلع الحذاء ويطلعها على « قدمه المصابة » ثم كيف يكون وقع المفاجأة أخيرا

ثم التفت الى ارنست هورتون وقال :

ـ اسمع ، لقد خطرت لى فكرة لعبة جديدة مسلية سوف أخبرك بها فيما بعد

فقال ارنست بحماس :

ـ مرحى . ان هذا ما يجعل الحياة محتملة . فلولا هذه اللحظات من المرح التىيختطفها الانسان بين الحين والآخر لمات غما

ـ نعم ، نعم ، هذا رأى ناضج ، رأى ناضج تماما يا سيدى

فقال آرنست وهو يضع ساقا على أخرى :

ـ ان انبثاق الافكار الجديدة فى الراس لامر عجيب . فقد يكون الانسان مسافرا ومعه حقيبة ملابس عادية كما حدث لى ذات يوم ، واذا بفكرة جديدة تومض فى ذهنى وانا انظر الىالحقيبة الموضوعة فى مكانها على الرف الاعلى من المقصورة . ان رجلا مثلى يقضى معظم وقته فى السفر من مكان الى آخر قد يحتاج فى بعض الاحيان الى بذلة سهرة لشهود بعض الحفلات الهامة التى لا غنى عن حضورها . ولكن هذه البذلة تحتاج الى مساحة كبيرة فى الحقيبة ، رغم أن الانسان قد لا يستعملها غير مرة أو مرتين فى الرحلة الطويلة . وهذا ما أوحى الى بالفكرة الجديدة ، وهى تحويل اية بذلة كحلية أو سوداء عادية الى بذلة سهرة انيقة ، وذلك بوضع تلبيستين حريريتين سوداوين على ثنيتى السترة ، وشريطين حريرين اسودين على جانبى البنطلون . وبطبيعة الحال ستكون طريقة هذه الادوات بارعة بحيث لايمكن لاحد انيفطن الى الحقيقة . بل لقد وضعت تصميم كيس خاص يمكن وضع هذه الادوات الحريرية فيه بحيث تكون معدة للاستعمال فى أية لحظة

فصاح المستر بريكارد قائلا

ــ هــذه فكرة رائعة ، فأنا الان احتفظ ببذلة ســهرة تحتل بمفردها نصف حقيبة ملابس . أما اذا أخــرجت فكرتك الى حيز التنفيذ ، فانها ســتوفر لى مكانا اضــافيا فى الحقيبة اســتطيع استغلاله فيما هو أجدى . اننى مســتعد للاشــتراك فى مشروع كهذا ، واعتقد أن نجاحه مضمون اذا أحسنت الدعــاية له ، بل فى مقدورك ان تتفق مع أحــد كبــار الممثلين لارتداء بذلة من هــذا النوع والظهور بها فى الحفلات ..

فرفع ارنست يده وقاطع الرجل قائلا :

ــ هــذا كله قــد دار بذهنى ، ولكننى أدركت اننى مخطىء ، فبعد أن وضعت تصميم كل صغيرة وكبيرة للمشروع ، وبعــد أن عرضت بذلة من هذا النوع على صديق لى واعجب بها ، اذا به يفاجئنى قائلا : ان جميع شركات الملابس ، وجميع خيــاطى بدل السهرة سوف يرصدون آلاف الدولارات لمحاربة مشروعى هذا . ان بذلة السهرة تباع فى كل مكان بســعر يتراوح بين مائة ومائة وخمسين دولارا ، فكيف آتى انا واخترع أدوات حريرية تحول اية بذلة قاتمة اللون الى بذلة ســهرة ، وكل ما يمكن دفعه فى هــذه الادوات لا يزيد عن عشرة دولارات . ان صانعى بذل السهرة لا يمكن أن يتركوك وشأنك

ــ نعم ، ان هذا صحيح . ومن حق هؤلاء أن يدافعوا عن كيانهــم وعن مصالح حملة الاسهم فى شركاتهم

وقال أرنست .

ــ ومع ذلك فانى لم أكف عن التفكير فى هــذا المشروع . انه ايضا يوفر الحمولة فى الطائرة ، و ..

ــ اننى مستعد للاشتراك معك فى تنفيذ مشروع كهذا . هــل حصلت على حق الامتياز لاستغلاله ؟

ــ نعم ، نعم ، اننى اتخذ الاجراءات اللازمة للحصول على هذا الامتياز ، ولكن هذا كما تعلم يستلزم بعض الوقت والمال

ثم اردف قائلا ليغير الموضوع :

ــ متى يمكن أن نبدأ فى السفر يا مستر شيكو ؟

فقال جون .

ـ ان سيارة جريهاوند تصل في نحو العاشرة حاملة بعض المسافرين والبضائع ، وعلينا هنا ان نبدأ السفر بعد وصولها بنصف ساعة . أي أن الوقت المرجح لسفرنا هو العاشرة والنصف . هل تريدون أيها السادة مزيداً من القهوة ؟

ـ نعم ، مزيدا من القهوة مع الشكر

وأحضر جون القهوه ، ونظر عبر النافذة الى السيارة الحافلة التى كان يسميها « سويتهارت » أى « الحبيبة » ، بينما نظر بريكارد الى ساعة يده وقال :

ـ لا يزال أمامنا نحو ساعة

وفى تلك اللحظة أقبل من الخارج رجل عجوز طويل محنى القامة ، وكان المسافر الذى نام فى سرير بمبلز . لقد فتح باب قاعه الطعام ، ودخل ، وجلس على أحد المقاعد المثبتة ، وكان رأسه محنيا بصفة دائمة لاصابة عنقه بتصلب فى العظام ، وكان يبدو عليه أنه تجاوز الستين من العمر ، كثيف الحاجبين ، مدبب الاسنان ، طويل النابين ، أصفر العينين ، ولهذا كان يبدو عنيفا شرسا

قال بلا مقدمات :

ـ اننى غير راض عما حدث امس عندما تعطلت السيارة ، وانا لا زلت غير راض حتى الآن

فقال جون :

ـ لقد اصلحت العطب وأصبحت السيارة الآن فى أحسن حال

فقال الرجل :

ـ أعتقد انه من الافضل لى آن الغى رحلتى معك واعود فى سيارة الجريهاوند الى سان سيدرو

فقال جون :

ـ حسنا ، يمكنك أن تفعل هذا اذا شئت

فعاد العجوز يقول :

ـ ان لدى احساسا ما .. احساسا يحاول أن يحذرنى من هذه الرحلة ، لقد خامرنى هذا الاحساس من قبل مرتين ولم أهتم به ،

فكانت النتيجة انى عانيت الكثير من المتاعب

فقال جون بصوت ينم عن الضيق :

ــ ان السيارة الآن فى حالة جيدة

ــ اننى لا أتحدث عن السيارة ، اننى أعيش فى هذه المنطقة ، بل اننى ولدت فيها · والارض الان مشبعة بالماء ، ولسوف يرتفع نهر سان سيدرو · وانت تعرف كيف يرتفع هذا النهر · انه ينبع من تحت قمة بيكو بلانكو مباشرة ، ثم يقوم بحركة التفاف واسعة فى خور لون باين كانيون ، وهذا يعنى أن كل قطرة زائدة من مياه هذه الامطار سوف تتخذ طريقها الى النهر

فارتسم الجزع على وجه المسز بريكارد ، وقالت :

ــ هل تعتقد اننا سنتعرض للخطر في الطريق ؟

فقال لها زوجها مطمئنا :

ــ لا يا عزيزتى

فعاد العجوز يقول :

ــ ان لدى احساسا بخطر متوقع · كان الطريق القديم يمتد بجانب النهر دون أن يقطعه . ومنذ ثلاثين عاما تولى المستر تراسك ادارة مصلحة الطرق فى هذه المنطقة ، ولم يعجبه الطريق القديم ، فأنشأ معبرين على النهر · فماذا وفر من طول الطريق بهما ؟ انه لم يوفر غير اثنى عشر ميلا فقط · ومع ذلك فقد بلغت نفقات المعبرين سبعة وعشرين ألف دولار ، لقد كان هذا المستر تراسك لصا

ثم استدار بعنقه المتصلبة وتأمل آل بريكارد برهة قبل أن يستطرد قائلا :

ــ نعم ، انه لص ، لقد مات منذ ثلاثة أعوام وهو موفور الثراء، ومع ذلك لم يكن ينفق شيئا على ولديه الطالبين بجامعة كاليفورنيا . لقد تركهما يعيشان ويتعلمان على حساب دافعى الضرائب

ثم توقف برهة ، وكشر عن نابيه واردف قائلا :

ــ فى رأيى أن هذين المعبرين لن يتحملا فيضان النهر هذا العام ، ومن ثم سالغى رحلتى وأعود الى سان سيدرو

فقال جون :

ــ لقد كان النهر حتى أول امس شبه جاف

ـ اذن فانت لا تعرف نهر سان سيدرو ، أنه يفيض فى خلال ساعتين ، لقد رايته بنفسى يفيض ويبلغ اتساعه ميلا كاملا وقد تناثرت على سطحه اجسام الابقار الميتة وبقايا الاكواخ المتهدمة

ـ هل تعتقد ان السيارة قد تثقل على المعبر فيسقط بهافىالنهر؟

ـ أنا لا أعتقد شيئا ، كل ما أعرفه ان المستر تراسك مات تاركا وراءه مزرعة تساوى ستة وثلاثين ألف جنيه ، وان ولديه يبعثران الان الاموال فى الجامعة

وهنا ترك جون مكانه وراء مائدة الخدمة ، وتناول سماعة التليفون وقال لعاملة الاتصالات التليفونية :

ـ أرجو الاتصال باستراحة المستر بريد على طريق سان جون ، اننى لا أعرف الرقم ، حسنا ، سأنتظر قليلا ٠ آه كيف حالك يامستر بريد ، اننى شيكو ، جون شيكو صاحب استراحة ريبلز كورنر ، ما رايك فى حالة النهر ؟ آه ؛ حسنا ، والمعبر ؟ حسنا جدا ، سوف اكون عندك فى أقل من ساعتين

واعاد السماعة الى موضعها ثم قال للحاضرين :

ـ ان النهر يرتفع بسرعة فعلا ، ولكن المعبر فى حالة طيبة

فقال العجوز :

ـ ان مياه هذا النهر ترتفع بمعدل ثلاثين سنتيمترا فى كل ساعة عندما يفرغ فيه خور باين كاينون مياه المطر المتجمعة فى جنباته واعتقد انك حين تصل الى ذلك المعبر فلن تجد له اثرا

فاستدار جون اليه فى صبر نافد ، وقال :

ـ أفعل ما تريد ، أما أنا فسوف الغى رحلتى واعود الى سان سيدرو ٠ اننى لا أريد أن أجلب المتاعب على رأسى بنفسى ، لقد خامرنى ذات مرة هذا الاحساس ولم أهتم به ، فانكسرت ساقى ٠ لا يا سيدى ، ان الاحساس بتوقع الخطر يستبد بنفسى منذ تعطلت السيارة أمس

فقال جون ٠

ـ حسنا ، يمكنك أن تعتبر نفسك من غير ركاب السيارة

ـ هذا ما أريده يا هذا ! اننى أحد سكان هذه المنطقة منذ أكثر من نصف قرن ، وأنت لا تعرف شيئا مما أعرف عن تراسك ٠ لقد

كان مرتبه السنوى خمسمائة دولار ، فكيف ترك وراءه مزرعة تساوى ستة وثلاثين ألف دولار ، هذا عدا عربون شراء مائة وستين فدانا من الارض الزراعية ..

فقال جون :

ـ لسوف أبذل جهدى لكى أوفر لك مكانا فى سيارة الجريهاوند عند عودتها الى سان سيدرو

ـ حسنا ، اننى لا أقصد أن أتحدث بسوء عن تراسك ، وانما أردت أن اذكر فقط ما حدث ..

وهنا قاطع أرنست هورتون العجوز وقال لجون :

ـ لنفرض أننا وصلنا الى المعبر فوجدناه منهارا ، ماذا سيحدث ؟

فقال جون :

ـ فى هذه الحالة لن نستطيع عبور النهر بالسيارة

ـ هل ستعود بنا عندئذ الى هنا ؟

ـ طبعا : فاننا اما ان نفعل هذا او نجعل السيارة تقفز عبر النهر

وعندئذ ابتسم العجوز فى انتصار قائلا :

ـ أترون ؟ انكم ستعودون الى هذا المكان لتجدوا أن سيارة الجريهاوند قد رحلت فى طريقها الى الجنوب .. عندئذ كم من الوقت سوف تبقون هنا ؟ شهورا ، أعنى حتى يقيموا معبرا جديدا ! انتم تعرفون من هو مدير الطرق هنا ، انه شاب حديث التخرج من الجامعة ، ملىء الرأس بالنظريات ، ويستطيع أن يرسم تصميما للمعبر ، ولكنه لا يستطيع أن ينشئه . وسوف نرى

وفجأة ضحك جون قائلا :

ـ حسنا جدا ، انك تتحدث عن المعبر الجديد ، بينما القديم لم يتحطم بعد

فاستدار العجوز اليه بعنقه المتصلب ، وقال بحدة :

ـ هل تريد أن تسخر منى ؟

فالتمعت عينا جون السوداوان ببريق غامض ، وقال :

ـ هذا شأنى ، ولكننى سأضعك فى سيارة الجريهاوند واطمئن عليك ، فلا تقلق ، اننى لا أريد أن تكون معنا فى هذه الرحلة

فهز جون كتفيه ، وقال :

ــ انك لا تستطيع أن تطردني ، فما انت الا سائق سيارة عــامة

ــ حســنا ، انني أحيانا أتســاءل لماذا احتفظ بهذا الخط من المواصلات ، إنه منار متاعب لا حصر لها . ربما ألغى امتيازى بعــد انتهاء مدته

وهنا قالت برنيس فجأة :

ــ يقولون ان المكسيك الان فى فصل الجفاف ، وان الامطار لا تكثر فيها الا فى الصيف فهل هذا صحيح ؟

فقالت ميلدرد :

ــ اعتقد أن المستر شيكو يستطيع ان يجيبك على هذا السؤال يا أماه ، لقد ولد هناك

ــ أوه ، أحقا يا مستر شيكو ، هل فصل الجفاف هو السائد الان فى المكسيك ؟

ــ نعم ، فى بعض الاماكن ، مثل الاماكن التى ستقصدونها ، ولكن هناك مناطق لا تنقطع عنها الامطار على مدار العام

فتنحنح المستر بريكارد ، وقال :

ــ اننا ذاهبون الى مدينة المكسيك ، العاصمة ، ثم الى بوبلا ، ثم الى جورنافاكا ثم الى تاسكو ، وربما واصلنا الرحــلة الى اكابلكو لنشاهد البركان هناك ان أمكن

ــ لسوف تتمكنون من الاستمتاع برحلتكم قطعا

ــ أتعرف هذه الاماكن ؟

ــ نعم . بلا ريب ! . .

ــ كيف حال الفنادق فيها ؟

فابتسم جون وقال :

ــ فاخرة ، طعام الافطار يأتى اليك وانت فى الفراش ، وهكذا .

وابتسم له المستر بريكارد وقال فى شبه اعتذار :

ــ انني لم أقصد ان أثير بعض المتاعب فى هذا الصباح

وعقد جون ذراعيه على مائدة الخدمة ، وانحنى الى الامام بجذعه الاعلى وقال فى صوت هادىء :

ــ حسنا ، حسنا . انني فى بعض الاحيان اشعر بالملل من هذه الحياة الرتيبة ، ومن الاستمرار فى قيادة السيرة يوما بعد يوم فى

مواعيد منتظمة من هنا الى مدينة سان جوان دي لاكروز ، ومنها الى هنا ، وانه ليخطر ببالى احيانا أن امضى بها الى التلال الرحيبة الممتدة الى غاية البصر . وقد سمعت عن ربان سفينة صغيرة تنقل المسافرين من نيويورك الى بعض الجزر القريبة ، ثم تعود بهم من هذه الجزر الى نيويورك ، وفى النهاية انطلق ذلك الربان ذات يوم بسفينته الى عرض البحر ولم يعد ، لم يسمع احد عنه شيئا ، ويقال انه غرق بالسفينة ، ويقال أنه يعيش الان فى احدى جزر هاواى ، او فى مكان ما من هذا القبيل. اننى فى الواقع ادرك البواعث التى دفعت به الى هذا العمل

وكانت ميلدرد تنظر الى جون مفتونة الاحساس . لقد شعرت أن هذا الرجل الناضج القوى ذا العينين السوداوين ينير فى نفسها عواطف معينة تجذبها اليها وتجعلها ترغب فى جذب انتباهه اليها ، انتباهه الخاص ، اليها هى وحدها . وكانت قد ألقت بكتفيها الى الوراء قليلا لكى تجعل نهديها أكثر بروزا واغراء

وقالت وهى ترفع النظارة عن عينيها حتى يراهما على الطبيعة ، وهو يجيب على سؤالها :

ــ ولماذا هاجرت من المكسيك ؟

ــ اننى لا أدرى

وقالت ميلدرد لنفسها حين شعرت بالرغبة الجنسية تثور فى اعماقها :

« يجب أن أضع لهذا حدا . مالى أنا ولهذا الرجل الجذاب الفاتن »

وعاد جون يقول :

ــ ربما تركت بلادى لان الناس هناك يعملون كثيرا ولا يحصلون الا على القليل من المال

فقالت المسز بريكارد فى لهجة الانسان الذى يثنى على انسان آخر :

ــ انك تجيد الحديث بالانجليزية !

ــ لماذا لا ؟ ان ابى ايرلندى ؟ ولهذا فانى أجيد اللغتين الانجليزية والاسبانية معا

وكانت عينا جون تداعب عينى ميلدرد وتتبادلان معا احاديث

جنسية صامتة . فكانت نظراته مثلا تطوف بنهديها ، وتتحسسهما ، ثم تهبط الى ردفيها ، ثم تتركزان على خصرها النحيل ، وتشعران بالاحساسات الدافئة التي كانت تفور تدريجيا في اعماق نفس الفتاة، وكانت هى بدورها تكاد تشعر بأصابعه تتحسس ردفيها وتثير فى نفسها الرغبة الجنسية الحارة . وبدأ جسمها يرتعد ويمتلىء باللهفة الى جسم هذا الرجل ، وعبثا حاولت أن تخفف منها او تهدئها ، بينما كان هو يشعر بالانتصار .. انتصار الرجل الملون على هذه الفتاة البيضاء المتغطرسة ، انه يعلم فى تلك اللحظة ان فى مقدوره العبث بها ، والتلاعب بعواطفها ، وتحطيم كبريائها . وارغامها على الخضوع الكامل لرغباته

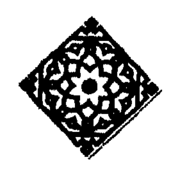
وفجأة نهض المستر بريكارد ، وقال :

ــ اننى سأخرج لاتمشى قليلا ، هل ستأتين معى يا برليس ؟

فقالت زوجته وهى تنهض :

ــ نعم ، بكل تأكيد

ونظرت ميلدرد فى غيظ الى والدها وهى تشعر كانما قطع عليها أجمل لحظة فى حياتها !



الفصل السادس

ساحرة الرجال

عندما أفاقت أليس من اضطرابها العصبي ، نهضت وغسلت وجهها وبذلت جهدها في تجميله وفي ازالة كل اثر من القلق والاضطراب عليه ، ثم مضت الى غرفة نوم نورما ، وطرقت على البـاب برفق . ودخلت باسمة ، لترى نورما وهي تسرع باخفاء رسالة في درج الخزانة

وكانت أليس تعلم تماما انه لا توجد علاقة ما بين نورما وزوجها جون ؟ وكذلك كانت تعلم ان نورما ، رغم حداثة سنها ، من الفتيات اللائى لا يفرطن في عرضهن ببساطة وانها تعيش في عالم من احلامها الخاصة ، وانها تكتب خطابات لشخص ما وتخفيها ، قبل ارسالها في مكان خفي بغرفة نومها . وكثيرا ما حاولت أليس بدافع من الفضول الانثوى ان تظفر بخطاب من هذا النوع لتقرأ محتوياته على ضوء الشمس دون أن تفتحه . ولكن نورما كانت مدربة على اخفاء اسرارها ، وقد بلغ من حرصها انها كانت تضع في كل درج من أدراج خزانتها ورقة او قطعة قماش في وضع معين ، فاذا تغير الوضع عرفت ان يدا ما حاولت أن تعبث بحاجياتها لتعرف اسرارها . اما مفتاح حقيبتها الخاصة فكان لا يفارق صدرها ليلا او نهارا

وكذلك أدرك بمبلز اخيرا انه لا جدوى من محاولاته الايقـاع بنورما ، فكثيرا ما حاول اغراءها على ان تفتح له نافذتها المطلة على الممر الخلفي في ساعة معينة من الليل ، ولكنه لم ينجح ، وكثيرا ما كان يقضي الليل خارج النافذة يخمشها بأصابعه ليوقظ نورما أو يثير في نفسها دبيب الرغبة الجنسية حين تعلم ان وراء النافذة شابا يشتهيها ، بينما كانت هي تضع الوسادة على راسها وتستغرق في النوم .

ولما دخلت آليس غرفة نورما ، نظرت الفتاة اليها فى جزع وقالت بسرعة :

ـ تأكدي يا مسز شيكو انني لم ارتكب شيئا ما ، مع ذلك الرجل !

فابتسمت آليس برفق وقالت وهي تتقدم نحو نورما :

ـ أنا أعرف يا عزيزتي انه لم يحدث بينكما شيء

وأغضت آليس بعينيها كأنما تشعر بالخجل من نفسها . وكانت قد قررت ان ترضي نورما بكل وسيلة ممكنة . أما الفتاة فقد قالت عاتبة :

ـ اذن ما كان يجب أن تقولي هذا ، أفرضي ان احدا سمعك واعتقد ان ما تقولينه عني صحيح ، فكيف يكون الحال ؟ انني لست فتاة من هذا النوع الرخيص كما تعلمين

وفجأة امتلأت عينا نورما بالدموع ، وهي تردف قائلة :

ـ انني مجرد فتاة تريد ان تعيش بشرفها دون أن تثير أية متاعب لاحد

فقالت آليس بلهجة كلها اسف :

ـ انني اعتذر اليك يا نورما ، حقا ما كان ينبغي ان أقول هذا لك ولكنني كنت أعاني من توتر شديد في أعصابي ، لاسيما في مثل هذا الوقت من كل شهر . وانت تعلمين كيف تكون الواحدة منا عندئذ في حالة اضطراب عصبي شديد !

فنظرت نورما اليها في دهشة واهتمام ، ذلك انها كانت المرة الاولى التي تبدو فيها أليس رفيقة لطيفة على شيء من الحنان . لقد أدركت منذ الاسبوع الاول من بدء عملها مع أليس انها امرأة تكره غيرها من النساء والفتيات كراهية غريزية وكأنما تجد في كل واحدة منهن غريمة لها تريد أن تنقض على جون وتنتزعه منها ، ولهذا السبب حرصت نورما على ان تكون علاقتها بجون علاقة عمل فقط ، حتى الحديث العادي قررت ألا يجري بينها وبينه

وعادت اليس تقول وقد شعرت بالرضا والارتياح وهي ترى الدموع تملأ عيني نورما :

ـ أنت تعرفين يا عزيزتي نورما كيف تكون حالة الواحدة منا في مثل هذه الظروف ! انها أحيانا تشعر كأنما ستفقد عقلها

فقالت نورما بصوت رقيق ينم عن لهفة الانسان الذى يتمنى أن يجد له صديقا واحدا فى الحياة :

ــ انا اعرف . . أعرف تماما ، وانى التمس الك العذر

فابتسمت اليس فى حنان ، وقالت :

ــ شكرا يا نورما ، والان هلم اتبعينى ، لان جون يقوم بمفرده على خدمة العملاء

ــ لسوف الحق بك بعد لحظة

ومضت أليس الى قاعة الطعام وهى تبتسم لنفسها

لقد عرفت اخيرا أين وضعت نورما الرسالة الاخيرة

ونترك الان اصحابنا هؤلاء فى استراحة ريبلز كورنر ، ونعود الى مدينة سان سيدرو حيث نجد سيارة شركة جريهاوند الكبيرة الفاخرة واقفة أمام مخزن شحن البضائع واستراحة المسافرين ، وعمال البنزين يملأون خزاناتها ، وعمال الشحن يرفعون البضائع الى اعلاها عن طريق سلم حديدى صغير فى مؤخرتها ، وفى داخلها كان احد العمال الزنوج ينظف الارضية وما بين المقاعد وما خلف المساند ويرجو فى الوقت نفسه ان يعثر على حافظة نقود ليأخذ بعض ما فيها ويعيدها الى مكانها حتى يعثر عليها العامل فى المحطة التالية . وكان المعتاد أن يجد بعض قطع من النقود والمرايا والمناديل وأعقاب السجائر وما الى هذا . وكان المعتاد ايضا أن يحتفظ لنفسه بقطع النقود ، ويعيد الاشياء الاخرى الى مكتب الامانات حتى يطالب بها أصحابها

وفجأة تحقق رجاؤه ، فاذا هو يجد حافظة نقود محشورة بين مقعدين ، فلما فتحها وجد فيها ورقتين ماليتين ، كل ورقة من فئة الخمسين دولارا ، وبعض أوراق اخرى تخص صاحب الحافظة . وتلفت جورج ، العامل الزنجى ، حوله وقد راح يغص بريقه الذى جف فجأة ، ولاحظ وجود احد العمال الذين يغسلون نوافذ السيارة من الخارج بالقرب منه ، فقرر ان ينتظر قليلا حتى تتاح له الفرصة ليخفى الورقتين الماليتين داخل بنطلونه الازرق ، ثم يعيد الحافظة الى مكانها لكى يعثر عليها العامل فى المحطة التالية .

وفى هذه الحالة لن يكون مسئولا عنها أو عما فيها

ولكن قبل ان تتاح له الفرصة المنشودة ، سمع وراءه وقع خطوات يعرفها جيدا ، انها خطوات لوى سائق السيارة ، ثم اذا به يسمع صوته العميق يقول له :

ــ ها ، جورج ، الم تعثر على حافظةنقود يقول صاحبها انهــا سقطت منه هنا ؟

فغمغم جورج بكلمات مضغمة ، بينما عاد لوى يقول :

ــ حسنا . سوف أعود بعد قليل ريثما نعثر عليها

فاستدار جورج وهو راكع على الارض ، وقال :

ــ لقد عثرت عليها ، وكنت انوى ان اقدمها الى مكتب الامانات

فقال لوى وهو يأخذ الحافظة من جورج ويفتحها ليتأكد مما فيها :

ــ يقول صاحبها أن فيهــا ورقتين ماليتين . كل ورقة من فئــة الخمسين دولارا وبعض الاوراق الخاصة . آه ، تماما ، آسف يا جورج أرجو لك حظا اسعد في المرة التالية

فقال جورج وهو يحاول أن يبتسم :

ــ ماذا لو ان صاحب هذه الحافظه دفع لى مكافأة بسيطة !

وكان عامل تنظيف السيارة من الخارج يطل برأســه فى تلك اللحظة ويتابع المناقشة باسما . وقد قال :

ــ نعم نعم ياجورج ، لابد من المكافأة

وغادر لوى السيارة الى استراحة الركاب حيث وضع الحافظة على مكتب موظف الامانات وقال :

ــ لقد عثر عليها جورج ، انه فتى طيب القلب

وكان لوى يعرف ان الرجل الواقف بجانبه هو صاحب الحافظة ومن ثم أردف قائلا دون ان يلتفت اليه :

ــ لو كنت انا صاحب هذه الحافظة لدفعت لجورج مكافأة بسيطة تشجيعا له على امانته . فأنا اذكر ذات مرة ان عاملا عثر على الف دولار وأعاد المبلغ الى صاحبه الذى أبى ان يكافئه بشىء فكانت النتيجة أن تحول هذا العامل الى لص خطير . حسنا ، كم عدد المسافرين معى الى الجنوب ؟

فقال الموظف :

ـ ان سيارتك كاملة العدد ، وبين المسافرين راكب واحد سينزل فى ريلز كورنز ، ولا تنس الفطائر هذه المرة كما فعلت مع الخمسين فطيرة فى المرة السابقة . ان المتاعب التى عانينها بسبب هذه الفطائر لا حصر لها

ثم أردف قائلا لصاحب الحافظة :

ـ هذه هى حافظتك يا سيدى ، تحقق مما فيها قبل ان تتصرف

وقال صاحب الحافظة بعد أن اطمأن الى كل ما فيها :

ـ هذه خمسة دولارات مكافأة

وقرر لوى ان يعطى جورج دولارا واحدا ويحتفظ لنفسه بالباقى ذلك انه كان يرى الحياة مجرد فرص ، وكان واثقا تماما انه لولا وصوله فى الوقت المناسب لاختفت المائة دولار من الحافظة قطعا . وكان لوى رجلا فى الخامسة والثلاثين من عمره ، كبير الجسم ، ممتلئا الى حد ما ، حسن الهيئة ، حريصا على اناقة ملابسه ، أقرب ما يكون منظرا الى ممثلى السينما المعروفين

ورأى لوى العامل جورج يطل براسه من باب المخزن ، فتقدم اليه واعطاه الدولار وهو يقول له :

ـ اليك هذا الدولار يا ابن . . . انه لم يدفع غيره ، عليه اللعنة

فنظر جورج فى وجه لوى برهة ، وادرك انه كاذب ، ولكن ماذا كان فى وسعه ان يفعل ! ان فى مقدور لوى أن يؤذيه اذا شاء ، ومن ثم هز كتفيه ، وقال :

ـ شكرا

وانتهت عملية شحن وتنظيف السيارة ، فتحركت الى الامام قليلا لكى تحل سيارة أخرى محلها ، وفيما كان لوى واقفا ينتظر الموعد المحدد لصعود الركاب اذا به يرى فتاة مقبلة نحو الاستراحة حاملة فى يدها حقيبة ملابسها ، رغم انه لم يتبين ملامحها جيدا لان الضوء كان ينساب من خلفها ، الا انه ادرك انها فتاة من النوع الذى يتمنى هو ان تجلس على المقعد الوحيد وراءه مباشرة . انها فتاة جميلة كما شعر ، لا كما رأى بعينيه ، وهى ليست جميلة فحسب ، وانما تفوح أيضا بالجاذبية الجنسية

ورآها تمضى الى نافذة حجز التذاكر ، فلم يمض وراءها وانما

ذهب الى دورة المياه ، وبلل اصابعه فى مياه الحوض ، ومسح بها على شعره بضع مرات ، ثم تناول من جيبه مشطا صغيرا وراح يمشط به شعره الى الوراء · وبعد أن اطمأن تماما الى آنه لا توجد ذؤابات متنافرة منه ، اخذ يمشط شاربه الذى لم يكن فى حاجة الى تمشيط ، ثم ارتدى سترته الرسمية الرمادية ، وشد الحزام على وسطه ثم أعاد المشط الى جيبه ، وتأمل نفسه فى المرآه ، ثم تحسس جوانب شعره ليتأكد من حسن تصفيفه ، واصلح رباط عنقه ، ثم وضع فى فمه بضع حبات من السن ـ سن . وبعدئذ نفض نفسه كما ينفض الديك ريشه عندما يهم بالتحويم حول دجاجة معينة

وكان لوى لا يكاد يكف عن التفكير فى الفتيات الجميلات لحظة واحدة طيلة ساعات يقظته · وكان يحب ان يوقع بهن بين أحضانه ثم يتخلى عنهن

وتقدم خارجا من دورة المياه حيث رأى اثنين من العمال يحملان صندوقا ضخما من الورق المقوى مكتوبا على جانبه هذه العبارة « فطائر مختلفة ، عددها خمسون فطيرة ، صناعة منزلية ، خاصة باستراحة ريبلز كورنر التى يملكها المستر جون شيكو » . وكان العاملان يمضيان بالصندوق الى السلم الخلفى للسيارة ليضعاه فى أعلاها

ولمح لوى الفتاة جالسة على متكأ فى غرفة الاستراحة ، وحقيبة سفرها بجانبها على الارض ، وفيما هو يعبر الغرفة ، أرسل نظرة سريعة الى ساقيها ، ، ثم علق نظراتها فى نظرة طويلة مركزة منه ، ثم وضع هذه الابتسامة الرقيقة على شفتيه ، وتقدم نحوها ، ولكن الفتاة أعادت النظر اليه ثم اشاحت بوجهها دون ان تبتسم

وأحس لوى بالاستياء وخيبة الامل ، انه لم يستطع ان يشيع فى نفسها الاضطراب والارتباك بنظرته الطويلة المركزة . وانما وجد انها لم تهتم بأمره فى قليل او كثير . هذا مع انها جميلة حقا ، جميلة الساقين والردفين ، بلا بروز عند البطن ، ولا تخاذل عند الصدر ، وانما نهدان كبيران بارزان ، وشعر طبيعى اللون كالذهب ، وعينان مكحلتان ، وبشرة ناعمة وملامح متناسقة ، وشفتان مدممتان ممتلئتان

وكانت ترتدى سترة آنيقة وجونلة ضيقة · وهكذا جمعت فى نظر لوى بين الأناقة والجمال

وتأمل لوى وجهها وهو يعبر الغرفة وقد خامره احساس بأنه سبق ان رأى هذه الفتاة وان كان لا يذكر منى وأين · ولكن لعلها تشبه فتاة سبق ان رآها أو ربما رآها في دور صغير بأحد الافلام السينمائية . ولاحظ لوى الفتاة جالسة بهدوء تام وبلا أية ظواهر للتوتر العصبى ؛ وهو عادة يخشى هذا النوع من الفتيات الهادئات المتمالكات لاعصابهن

وفيما هو يوشك على الانصراف قرر لوى ان يعاقبها على استخفافها به ، بالنظر الطويل الى ساقيها ، وكان يعرف ان هذه النظرة تجعل الفتاة تضطرب وتحاول اخفاء الجانب الاكبر من ساقيها ولكن هذه الفتاة ظلت فى مكانها لا تهتز او تتحرك . وعندئذ قال لنفسه مواسيا · لعلها من بنات الليل · ولعل أجرها لا يزيد عن ثلاثة جنيهات ..

ثم ضحك لنفسه وأردف قائلا :

« ولكن بنات الليل لا يرتدين ملابسهن بمثل هذه الاناقة والذوق الرفيع »

ومضى لوى الى نافذة حجز التذاكر ، وابتسم للموظف الجالس بها وكان يدعى ادجار . وكان هذا شديد الاعجاب ب «لوى» ويتمنى أن يكون مثله ذات يوم

وسأله لوى قائلا :

ـ الى أين ستمضى تلك الحمامة ؟

ـ الحمامة !

ـ نعم ، الجميلة الشقراء

فغمز ادجار بعينيه ، وقال باسما :

ـ آه ، نعم ·· الى الجنوب

ـ فى سيارتى ؟

ـ نعم

وراح لوى ينقر بانتظام على أرضية النافذة وقد استغرق فى التفكير · ولكن ادجار لم يلبث أن قال له فجأة :

ـ هل تريد أن تلتقط هذه الحمامه ؟

ـ لا بأس من المحاوله ، انها من بنات الليل كما يبدو

فلمعت عينا ادجار وقال بحماس :

ـ وماذا عن بنات الليل ، ماذنبهن و ٠٠

ولكن الشاب تمالك نفسه ثم عاد يقول معتذرا

ـ انني آسف يالوى ، وبهذه المناسبة أريد أن أقول قبل أن أنسى أرجوك أن تشرف على حمل صندوق الفطائر وتوصيله سالما الى أصحابه فى ريبلز كورنر ٠ لقد حدث فى المرة السابقة أن اختلطت الفطائر بعضها ببعض ، واضطررنا الى دفع ثمنها لاصحابها

فقال لوى فى اعتزاز وثقة بالنفس :

ـ لم يحدث مثل هذا فى نوبتى أبدا

وقبل أن يتمادى لوى فى شعوره بالاستياء ، اذا به يرفع عينيه الى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط . وفيما هو يتأملها لمح فى زجاجها صورة الفتاة وهى تتأمله من الخلف ، ومن ثم زال كل شعور له بالاستياء وابتسم لادجار ، وقال له :

ـ لسوف أعنى بصندوق الفطائر حتى تصل كلها سليمة الى أصحابها

ثم أردف قائلا وهو يغمز بعينه :

ـ يبدو أنى سأقضى وقتا لطيفا مع هذه الفاتنة

واستدار ببطء وراح يتأمل مرة أخرى وجه الفتاة الجميل ، ويحاول أن يلتمس فيه كل الامارات التى تنم عن الجاذبية والميل الجنسى الشديد ٠ وقد وجد هذه الامارات فى استدارة أنفها واتساع المسافة بين عينيها ، وفى لون شعرها ، وكانت فى جملتها فتاة تلفت نحوها انظار جميع الرجال أينما ذهبت

وقرر لوى أن يطبق الدرس الثانى فى فن المناورات الغراميه . فوضع على شفتيه ابتسامة رقيقة تنم عن الاحترام ، ثم علق نظراتها بنظرة طويلة منه ، ولاحظ للمرة الاولى أن البرود زال من نظراتها ، فتقدم منها ، وقال :

ـ سمعت أنك راحلة الى الجنوب فى سيارتى يا سيدتى ، واعتبر هذا شرفا كبيرا

ورفت على شفتى الفتاة ابتسامة خفيفة جعلت لوى يردف قائلا :

ـ لسوف أعنى بحقيبتك اذ اننا على وشك التحرك · لم يبق غير ثلاث دقائق

فقالت الفتاة بصوت يفوح أيضا بالجاذبية الجنسية :

ـ شكرا

ـ دعينى أحمل عنك حقيبتك لاحفظ لك بها المقعد المناسب المريح

ـ انها حقيبة ثقيلة

فابتسم لوى وقال :

ـ وأنا لست قزما كما ترين !

ثم التقط الحقيبة وحملها ببساطة ، وصعد بها الى داخل السيارة حيث وضعها بجوار المقعد الامامى المفرد الذى يقع وراءه مباشرة ناحية اليمين ، انه يستطيع عندئذ أن يرى الفتاة طوال الطريق بواسطة المرآة الموضوعة أمامه ، كما يمكنه أن يتبادل معها الحديث بين الحين والآخر

وفي خلال هذه اللحظات الاخيرة ، كان الركاب يقومون بحركة نشاط كبيرة فى متجر بيع الحلوى والصحف قبل الانتقال الى السيارة ، ووقف لوى بجانب بابها يتطلع الى الركاب وهم يشترون الشطائر والصحف والحلوى ، وقد شاهد أحد الصينيين يشترى عددين من مجلتى تايم ونيوزويك ، ورأى اثنين من الهنود بعمامتيهما الكبيرتين واقفين فى حيرة دون أن يستطيعا التفاهم مع أحد ، أما الفتاة الحسناء ، فقد لاحظ أن كل رجل وامرأة كان يختلس ، مثله ، النظر اليها بين الحين والآخر وكأنما هى مخلوقة فريدة فى نوعها

وأخيرا صعد لوى الى مقعد القيادة ، وفتح للركاب ليصعدوا بدورهم ، وكانت أول الصاعدين سيدة عجوز اتجهت فورا الى المقعد المفرد الذى وراءه وأرادت أن تجلس عليه ، فقال لها :

ـ معذرة يا سيدتي ، ان هذا المقعد محجوز

ونظرت السيدة اليه شذرا ، ثم قالت بحدة :

ـ ماذا تعنى بكلمة محجوز ؟ اننى لم أعرف يوما أن المقاعد فى السيارات العامة تكون محجوزة

وكان بعض الركاب قد صعدوا وجلسوا فى المقاعد الخلفية من السيارة ، وقد اجاب لوى على السيدة العجوز قائلا مرة أخرى .

ـ ان هذا المقعد محجوز يا سيدتى ، ألا ترين الحقيبة الموضوعة بجانبه

وكان لوى بطبيعته يكره السيدات العجائز ويخشاهن ولا يطيق رائحتهن . وكان يعرف أن المرأة التى فقدت شبابها تماما تصبح عنيفة قاسية اذا رأت شابا يحاول أن يرضى فتاة حسناء على حسابها

ولمح لوى الفتاة بطرف عينه وهى تهم بالصعود الى السيارة بينما كانت السيدة العجوز لا تزال واقفة فى مكانها ، وهنا أفلتت منه زمام أعصابه فقال بحده وعصب .

ـ اسمعى يا سيدتى ، اننى صاحب الكلمة فى هذه السيارة ، وهناك مقاعد كثيرة خالية بها ، فارجوك أن تمضى وتختارى أى مقعد منها

فحملقت العجوز فى وجهه بنظرات نارية ، ثم استدارت نحو المقعد الواقع وراء المقعد المحجوز مباشرة وهى تقول بحدة :

ـ اننا نعرف أنك حجزت هذا المقعد لتلك الفتاة ، وانى أفكر جديا فى التبليغ عنك لدى رؤسائك فى الشركة

فانفجر لوى قائلا بغضب :

ـ حسنا يا سيدتى . افعلى ما تريدين ، فان لدى الشركة ركابا كثيرين ، ولكن ليس لديها سائقين ممتازين

ولاحظ أن الفتاة كانت تنصت الى هذا الجدل ، وشعر بالغبطة والرضا ، أما العجوز فقد استطردت قائلة لتزيد من غضبه :

ـ أيا كان الامر ، فسوف أبلغ عنك

فقال لوى بصوت مرتفع :

ـ قلت لك افعلى ما تريدين ، بل يمكنك أيضا أن تنتظرى السيارة الاخرى التى ستتحرك بعد ست ساعات ، ولكنك لن تجلسى على هذا المقعد ، لانه محجوز لراكبة تحمل شهادة طبية

ونجحت هذه الحيلة فى خداع العجوز التى لم تلبث أن قالت فى شىء من الخجل .

ـ ولماذا لم تذكر هذه الحقيقة ! انني لست عنيدة أو قاسية ، ومع ذلك فسوف ابلغ عنك لانك تحدث الركاب بلهجة خسنة

فقال لوى ، وهو يهز كتفيه .

ـ حسنا ، انني معتاد على هذا

ولما جلست العجوز فى أقرب مقعد الى الفتاة ، قال لوى لنفسه :

« لسوف تركز سمعها على كل كلمة أقولها لكى تبلغ عنى . حسنا لتفعل ما تريد ، فان حاجة الشركة الى السائقين أشد من حاجتها الى مزيد من الركاب »

وكانت الفتاة قد وقفت بجانبه عندئذ تقدم اليه تذكرتها ، فقال لها متسائلا :

ـ ألن تذهبى الى أبعد من ريبلز كورنر ؟

فقالت الفتاة وهى تبتسم لما بدا فى لهجة صوته من استياء :

ـ سوف أركب السيارة الاخرى هناك لاصل الى مدينة سان جون دى لاكروز

فأشار الى المقعد القريب منه وقال :

ـ هذا هو مقعدك

ثم راح يرقبها فى مرآته وهى تجلس ، ثم وهى تضع ساقا على ساق ثم وهى تجذب طرف ثوبها لتغطى ركبتيها، ثم وهى تضع كيس نقودها بجانبهـــا

وكانت الفتاة تعرف أن لوى يراقب كل حركة تقوم بها ، اذ كان هذا هو شأنها دائما كلما ركبت سيارة عامة . وكانت تعرف أيضـــا أنها تختلف عن غيرها من الفتيات ، ولكنها لا تعرف لماذا ؟ وبطبيعة الحال كان يسرها ، من جهة ، أن يحجز لها السائقون أحسن مقعـد فى السيارة دائما ، وان يشترى لها المعجبون طعام الغداء اثناء السفر وأن يبادر كل رجل وشاب الى التقرب منها ومحاولة اسداء أية خدمة اليها . ولكن هذا كله لم يكن يخلو من متاعب فى النهاية . فقد كان عليها دائما ان تناقش ، وأن تجادل ، وان تشق طريقها للخـــلاص حينا بالاهانة ، وحينا بالعراك . وكانت تعرف أن الرجال جميعـــا يريدون منها نفس الشيء ، وأن من غير المعقول أن ترضيهـــــم جميعـــا

وكثيرا ما كانت تعانى الالام من هذه الحاله وهى فى سن الصبا ، أما الآن ، فقد راضت نفسها على الاحتمال ، ودربت نفسها على مناورات الرجال حولها حتى أصبحت قادرة على معرفة كل حركة يقوم بهــا الرجل ، وكل كلمة يقولها

وكان أشد ما يثير سخطها وبضايقها أولئك الرجال الذين يظهرون لها ، فى أول الامر ، الرغبه فى رعايتها وتقديم المساعدة لها والعمل على حمايتها دون أن يطالبوها بشىء • ولكنها كانت فى الوقت نفسه تقرأ حقيقة رغباتهم كما تقرأ كتابا مفتوحا ، وكثيرا مـا كانت تتمنى لو أنهم تركوا النفاق جانبا وتصرفوا معها كما يتصرف بعض الرجال الذين يراودونها عن نفسها بلا لف أو دوران تاركين لها الحريه فى أن تقبل أو ترفض

وأشد ما كان يسخطها ويؤلمها أيضا ذلك الصراع الخفى أو الصريح الذى يدور بين الرجال كلما ظهرت بينهم • انهم يتصارعــون بعنف وحدة وقسوة كالكلاب ، كل يريد ان يستأثر بها دون الجميع • وكم تمنت فى حياتها لو أن النساء يحملن لها بعض الحب ، ولكن هذا لم يحدث أبدا • لقد كانت الكراهية تطل من عيون النساء بمجرد أن تقع نظراتهن عليها • وهى ذكية تعرف السر فى هذا ، ولــــكن ماذا فى وسعها أن تفعل • ان كل ما تريده من الحياة هو بيت لطيف ، فى مدينة لطيفة ، وطفلان ، وملابس جميله ، وأصدقاء وصديقات يقبلن دعوتها للعشاء بين الحين والاخر ، وزوج طبعا ، ولكنها لم تحــاول ابدا أن ترسم صورة معينة لذلك الزوج ، يكفى أن يكون رجلا متوسط الدخل ، طيب القلب ، لا يجعل للغيرة أو الشك محلا يسمم حياتهما هذا هو كل ما تريده من الحياة ، وهذا ما تعرف تماما أنهــا لن تستطيع أن تحصل عليه يوما

ان الحزن يملأ نفسها ، انها لتتساءل كثيرا عن حالة غيرهــا من النساء • ترى هل هن يختلفن عنها فى الاســتجابة الجنســيه مع الرجال ؟ لقد أدركت بقوة الملاحظة أن الرجال لا يشتهون معظم النساء كما يشتهونها هى • وانما لا تدرى لماذا ؟ فان استجابتها الجنســيه ليست دائمة ، وليست عارمة • ولكنها لا تعرف ما هو الحــال مع غيرها من النساء ، انهن لا يتحدثن معها فى هذه الشئون ، لانهـن لا

يأمن لها ولا يشعرن نحوها بالمودة والحب . لقد حـــدث أن تعرفت بطبيب شاب ، فلما سألته عن الفارق بينها وبين غيرها من النســـاء قال . « انني لا أدري تماما ، ولكنك تملئين الجو حول الرجل بالقـوة والحياة ، والحمد لله أن الدنيا لا تخلو من مثيلاتك ، والا لفقد الرجال عقولهم ؟ »

وتعلمت الكتابة على الآلة الكاتبة ، ولكنها لم تستطع الاستمرار في أي عمل أكثر من اسبوع أو اسبوعين ، اذ كان الرؤساء والمرءوسون يتصارعون للفوز بها ، وهكذا ينتهي بها الامر الى الفرار

وأخيرا استطاعت أن تجد أعمالا موسمية في الفرق الاستعراضية التي تقدم في نهايةالبرامج الترفيهية مجموعةمن الفتيـــات اللاتي يخلعن ملابسهن قطعة قطعة ويقفن على المسرح عاريات تماما بين دوي التصفيق والهتاف والصفير من جمهور اكثر من نصفه عجائز . وقد رأت أن خلعها الملابس على المسرح مقابل أجر طيب كل ليلة ، أفضل لها من خلعها هذه الملابس نفسها ، راضية أو كارهة ، في غرفة رجل قد يكون عربيدا أو مجرما

وقد أثبتت لها التجارب أن الشبان هم آخر من يصلحون للحياة معها . لقد حاولت أن تعيش بصفة مستمرة في رعاية الواحد منهـم بعد الآخر ، فاذا هم جميعا ينقلبون الى وحوش صغيرة قاسية لاترحم ولهذا رأت أن الرجل الكهل الثري هو خير من يهييء لها حياة مستقرة وقد عاهدت نفسها ، اذا عثرت عليه ، أن تكون وفية له ، وأن تعوضه أحسن تعويض نظير ما سينفقه عليها من مال ووقت

وأفاقت الفتاة من أفكارها على صوت لوي ، وهو يقول لهـــا بتردد .

ــ أرى أنك ذاهبة الى لوس انجلوس ، فهل تقيمين بهذه المدينة ؟

ــ بعض الوقت

ــ انني أحاول أن أستنتج بعض الحقائق عن الركاب ، فان رجلا مثلي يرى في حياته الكثير من الشخصيات المختلفة

ودار محرك السيارة ، ورأى لوي في المرآة أن المرأة العجوز تحملق فيه بغيظ ، فهز كتفيه وقال لنفسه : « لتفعل ما تشـاء » ، ثم ألقى نظرة أخيرة على بقية الركاب . فرأى الراكب الصيني واضـــعا

الصحيفتين على ركبتيه ومنهمكا فى قراءتهما فى وقت واحد

وانسابت السيارة متحركة من أمام الاستراحة ، وانحرفت يسارا الى الممر المؤدى الى الشارع الرئيسى بمدينة سان سيدرو • وتوقف لوى بالسيارة برهة قبل أن يعبر الشارع الى الجانب الايمن منـه ، ثم انطلق بها الى ضـواحى المدينة ومنهـا الى الطريق الزراعى العـام

وعاد لوى ينظر الى صورة الفتاة فى المرآة ، ويحاول أن يسـجل فى ذهنه كل لمحة من لمحات جمالها الآسر ، وفجأة رآها تبتسـم له ، فغص بريقه ، وأحس كأن شيئا ما يضغط على صدره ويعتصر قلبه • وان عقله يوشك أن يطير من رأسه • ولكنه تمالك نفسـه وقال : « عجبا لى ؟ اننى أحس كأنى تلميذ مراهق يرى فتاة جميلة ، لاول مرة ؟ كيف أوشك أن أفقد عقلى أمام فتاة من بنات الهوى كهذه » • وفى تلك اللحظة لمح على كل جانب من جانبى جبينها ، تحت خصلات الشعر الذهبى ، آثار الكى بالنار ، انها الآثار التى يدمغ بها مكتب الاداب كل فتاة تحترف الدعارة • وأحس لوى بالارتياح عندما رأى آثار هذا الكى • وأدرك أنها لن تظل هكذا متكبرة مزهوة بجمالها لو عرفت أنه رأى هذه الآثار التى تحاول جاهدة أن تخفيها تحت خصلات شعرهـا

وتذكر لوى أن المسافة الى ريبلز كورنر لا تزيد عن أربعين ميلا ، وأن السيارة لن تستغرق فى قطعها أكثر من ثلثى ساعة • ومعنى هذا أن عليه ــ اذا أراد أن يتصرف بالفتاة ــ ألا يضيع لحظة واحدة

وتمتم ببضع كلمات فى صوت مضطرب ، وانحنت الفتاة نحـوه ، وقالت :

ــ اننى لم أسمعك

فتنحنح وقال :

ــ كنت أقول أن المزارع تبدو جميلة ناضرة بعد المطر

ــ نعم ، هذا صحيح

ورأى أن يعود الى حديثه الاول ، فقال وهو يلاحظ انهـا لا تزال منحنية نحوه :

ــ انني أحاول كما ذكرت أن أستنتج بعض الحقائق عن الشخصيات

التى تركب معى ، واستطيع أن اقول عنك أنك تعملين اما فى المسرح أو فى السينما

فقالت الفتاة :

ـ لا ، لقد اخطأت الاستنتاج

ـ اذن فى الفرق الاستعراضية ؟

ـ لا

ـ حسنا ! هل تعملين فى أحد المكاتب ؟

فضحكت الفتاة ، وازداد وجهها جاذبية وهى تضحك ، وكانت فى الوقت نفسه تدرك الغرض من هذا الحديث ، انه يريد أن يستدرجها ليعرف منها رقم تليفونها أو عنوان مسكنها ، فهكذا الامر دائما ، ولكن لا بأس ، انه لن يستطيع أن يعرف شيئا ، لانها كانت ذاهبة الى لوس انجلوس لتبحث عن عمل ، وهذا يعنى أنها ستعيش فترة ما بلا مسكن وبلا رقم تليفون

وانحنت نحوه وقالت :

ـ اسمع ، لسوف أوفر عليك الوقت والجهد ، اننى كنت أعمل ممرضة فى عيادة طبيب أسنان

ولم تدر لماذا قالت له هذا ، لعلها كانت تعرف بخبرتها أن الناس عادة لا يحبون أن يكثروا الحديث عن العمل فى عيادات طب الاسنان

وفكر لوى برهة ، ثم قال وهو يخفف من سرعة السيارة بعض الشىء ليكسب مزيدا من الوقت :

ـ اننى أذهب أحيانا الى لوس أنجلوس ، فهل ثمة مكان معين استطيع أن التقى بك فيه لنذهب الى السينما أو الى مطعم للعشاء

فابتسمت فى رفق وقالت :

ـ اننى الآن بلا مسكن ، وربما مرت بضعة أيام قبل أن استقر فى مسكن خاص

ـ ولكنك تعملين فى مكان ما ، ألا يمكن أن ازورك فى محل عملك ؟

وكانت المرأة العجوز تتلوى وتتململ فى مقعدها من فرط السخط

لان لوى منعهـــا من الجلوس فى المقعد الامـامى • أمـــا الفتـــاة فقالت :

ـ لا ، اننى بلا عمل فى الوقت الحاضر ، ولكننى سوف أجد عملا بسرعة عند وصولى الى لوس آنجلوس ، فأنت تعرف أن هناك أزمة فى الممرضات المدربات .

ـ هل أفهم منهذا أنك تريدين التخلص منى ؟

ـ لا ، أبدا

ـ حسنا ، لعلك لن تبخلى على يوما برسالة قصيرة تخبريننى فيها بمحل اقامتك أو رقم تليفونك

ـ سأحاول أن أفعل

ـ اننى فى الواقع أريد أن أتعرف بفتـــاة جميلة مثلك فى لوس أنجلوس لاصحبها الى دور السينما والمسرح

وهنا انفجرت المرأة العجوز قائلة لجميع الركاب بصوت مرتفـع كله الغضب :

ـ ان القانون الرسمى يمنع السائق من التحـــدث مع الركاب ، ويحسن بك يا هذا أن تركز اهتمامك فى قيادة السيارة ولا تعرض حياتنا للخطر • أما اذا تماديت فى هذا ، فانى سأطلب منك التوقف لكى أهبط

وأطبق لوى شفتيه فورا . اذ كان يعرف ان للعجوز الحق هـذه المرة فى توجيه اللوم اليه ، بل ان فى مقدورها اذا شاءت أن تحـرج مركزه مع ادارة الشركة . ونظر فىالمرآة ، فرأى الفتاة تبادله النظرات فى صمت ، وأخيرا حرك شفتيه قائلا بصوت هامس . « اللعنـة على تلك الحيزبون العجفاء »

وفهمت الفتاة كلماته الصامتة ، فابتسمت ، ووضعت اصبعها على فمها وهى تحس فى وقت واحد بالراحة والاسف . الراحة لان تدخل العجوز فى الحديث جاء فى الوقت المناسب ، أى قبل أن يتمادى لوى فى حديثه معها ويثير الاضطراب حولها ، والاسف لانه كان فى رأيها شابا لطيفا لاترفض أية فتاة من طبقتها أن تنشىء معه علاقة موقوتة أو دائمة

وأدرك لوى بدوره من موقف الفتاة انها لا تريد اثارة المشكلات . وكانت السيـــارة تقترب بسرعة من ريبلز كورنر ، والوقت من ثم

يطير ، فماذا تراه يفعل ليظفر منها بوعد قاطع على اللقاء قبل أن تهبط من السيارة وتختفى من حياته ؟

ووصلت السيارة الى ريبلز كورنر قبل ان يصل هو الى حل لهذه المشكلة

وقال جون شيكو وهو يستقبله :

ــ ها يا لوى ، هل جئت لى معك بصندوق الفطائر ؟

ــ نعم ، وكلها سليمة

ــ وماذا ايضا ؟

ــ وراكبة واحدة

ونهض لوى من مقعده ، وحمل حقيبة الفتاة ، وهبط من السيارة ، ثم مد يده وساعد الفتاة على الهبوط ، ثم سار معها نحو قاعة الطعام حيث قالت له عند مدخلها :

ــ وداعا وشكرا

ــ وداعا !

وراح يتأملها وهى تغيب فى داخل القاعة

وعاد الى مكانه من مقعد القيادة ، بينما كان جون وبمبلز قد هبطا بصندوق الفطائر ، فقال لهما لوى :

ــ الى اللقاء

وتحركت المرأة العجوز الى المقعد الامامى القريب منه ، وجلست عليه

وأغلق لوى باب السيارة فى عنف ، ثم أدار محركها ، وانطلق بها وهو ينظر الى المرآة أمامه . فلما رأى وجه العجوز المشرق بالانتصار عليه ، قال لنفسه :

ــ لقد ضيعت منى فرصة العمر أيتها اللعينة الحيزبون

ولما تلاقت نظراته بنظراتها عن طريق المرآة ، عاد يحرك شفتيه قائلا :

ــ اللعنة عليك يا أخت الابالسة

وشحب وجه المرأة وزمت شفتيها

وابتسم لوى وقد ادرك أنها فهمت كلماته

وظلت السيارة فى انطلاقها على الطريق الزراعى

الفصل السابع

الكل مضطرب

حمل جون وبمبلز صندوق الفطائر الى باب قاعة الطعام حيث وضعاه برهة على الارض ، وراحا يرقبان الفتاة الشقراء وهى تدخل الى القاعة . وصفر بمبلز بشفتيه صفيرا خافتا وقد تصبب العرق من راحتيه ، بينما ركز جون نظراته برهة على ظهر الفتاة وساقيها ، ثم ابتسم قائلا لبمبلز :

ـ انا أعرف ما سوف ماتقوله لى الآن ياكيت . وأراهن عليه !

فنظر بمبلز اليه مدهوشا ، وقال فى ارتباك :

ـ على أى شىء ؟

ـ على انه قد خطر لك الآن انك لم تظفر باجازة منذ أسبوعين ، وأنه قد آن لك أن تنال اليوم اجازة ، وأن تسافر معنا الى مدينة سان جوان دى لاكروز ولعلك تتمنى فى قرارة نفسك ان تتعطل السيارة فى الطريق لتبقى بجانب هذه الشقراء اطول فترة ممكنة !

واضطرم وجه بمبلز ، وبدا الارتباك عليه برهة ، ولكنه اطمأن حين رأى ابتسامة جون ، ثم قال :

ـ صدقت ؟ انك رجل موفور الذكاء ، طيب القلب !

ـ ولكن من الذى سيتولى أمر محطة البنزين واصلاح العجلات المثقوبة ؟

ـ ومن الذى كان يقوم بهذا العمل قبل ان اعمل معكم ؟

ـ لا احد ، وقد تعودنا فى هذه الاحوال ان نضع لافتة صغيرة على باب الجراج مكتوبا عليها « مغلق لاسباب قاهرة »

ثم ضرب على كتف بمبلز ، وقال :

ـ أما اليس ففى مقدورها أن تزود السيارات بما يلزمها من وقود

وقال بمبلز لنفسه :

« يا له من رجل طيب حقا »

وعاد جون يقول :

ــ والآن ، عليك ان تنقل هذه الفطائر فى حذر الى قاعة الطعام

وحمل بمبلز فطيرتين برفق ومضى بهما الى قاعة الطعام ليسلمهما للمسز شيكو ، وكانت الفاتنة الشقراء جالسة الى مائدة الخدمة تشرب قدحا من القهوة ، ورغم أن الفتى لم ير وجهها ، الا انه احس بالجو « المكهرب » الذى أشاعته فى القاعة

لقد كان المستر بريكارد والعجوز فان برانت ، والشاب ارنست هورتون فى حالة قريبة من الذهول ، وهم يسرحون أعينهم على محاسن الشقراء الفاتنة ، ثم يغضون بأبصارهم لكى يعيدوا النظر وهكذا ، وكأنما اصابهم مس من الجنون

ولم تكن اليس عند مائدة الخدمة ، وانما كانت نورما هى التى تقوم بالعمل فى تلك اللحظة ، وكانت تسأل الشقراء قائلة :

ــ أتحبين أن أقدم اليك قطعة من الفطير الطازج ؟

وتوقف بمبلز برهة ليسمع صوت الفاتنة الشقراء التى قالت :

ــ نعم ، اذا سمحت

وأحس بمبلز بألم فى امعائه وهو يسمع صوت الفتاة المتلىء بالجاذبية الجنسية وعاد الى الخارج ليأتى بمزيد من الفطائر ، وهناك قال له جون :

ــ لا تتلكأ عند تلك الشقراء ، لسوف تشبع عينيك منها طيلة المسافة الى مدينة سان جوان الا اذا كنت تنوى أن تقود السيارة

وأوما بمبلز برأسه ، وحمل الخمسين فطيرة الى قاعة الطعام ، ثم ساعد جون فى حمل صندوق آخر من الفطائر كان فى طريقه الى سان جوان ، عندما اراد وضعه فى المخزن الداخلى للسيارة الحافلة « سوتيهارت » . وكانت هذه قد اصبحت معدة للسفر ، ومن ثم وقف جون على مسافة خطوات منها وراح يتأملها باعجاب . حقا انها لسست فى قوة وجمال سيارات شركة الجريهاوند . الا نها لابأس فى ذاتها

وقال بمبلز :

ـ هلم نستعد للرحيل . اغلق باب الجراج ، وضع لافتة الغلق عليه ، واسرع بتغيير ملابسك اذا أردت أن تكون معنا

وانطلق بمبلز ليقوم بهذه الاعمال ، بينما نفض جون ملابسه ، ومضى الى قاعة الطعام حيث رأى المستر بريكارد جالسا وقد وضع ساقه اليمنى على اليسرى وراح يحرك أصبع قدمه الكبيرة فى حركات عصبية تشنجية . وكان المستر بريكارد قد لمح وجه الفاتنة الشقراء وهى تدخل القاعة ، واحس بدبيب النشوة والانفعال يسرى فى أعماق نفسه ، الا انه عقد جبينه برهة مفكرا ، لقد خيل اليه أنه رأى هذه الفتاة من قبل ، ربما فى مكتب صديق له ، او ربما فى مكان آخر ، ولكن المؤكد أنه رآها من قبل . أما أين ومتى فهو لا يعرف !

وكانت زوجته تنظر خلسة الى حركات قدم زوجها ، اما ارنست هورتون فكان يحملق بلا حياء الى ساقى الفاتنة الشقراء . وشعرت نورما بالميل الى الفتاة الحسناء ، لانها لم تكن تغار منها فى شىء أو تخاف منها على شىء . ثم انها تجد هذه الفتاة لطيفة فى تصرفاتها وفى حديثها ، ويبدو ان الشعور كان متبادلا بين الاثنتين ، لان الشقراء الفاتنة احست بالميل المفاجىء الى هذه الفتاة الوادعة التى ينم وجهها عن الطفولة والبساطة

وكانت اليس قد قالت لنورما قبل وصول سيارة شركة الجريهاوند بلحظات :

ـ ارجو أن تقومى على الخدمة هنا ريثما اعود ، ولن اغيب كثيرا

ثم اقبلت السيارة ، وشغلت نورما بتقديم القهوة والحلوى للشقراء الفاتنة ، ولكنها الآن قد تذكرت . تذكرت اليس وادركت المعنى المنطوى وراء غيبتها فى غرفات النوم . لا شكّ انها الآن تبحث عن الخطاب ، خطابها الذى كتبته لكلارك جيبل . ولعلها عثرت عليه وراحت تقرا محتوياته بتعريض المظروف لضوء الشمس واستبد الغضب بنورما ، ونظرت الى اكداس الاوراق المالية فى درج الخزينة وغصت بريقها . ان جانبا من هذه الاوراق يمكن أن يتيح لها رغد الحياة حتى تحصل على عمل آخر . ولكن لا ، انها ليست من هذا النوع ، ولن تكون يوما منه . واحست بالرغبة القوية فى ترك عملها

مع اليس ، بل اقسمت ان تترك عملها هذا اذا ثبت لها ان اليس انصرفت لتقرأ خطابها الى المستر جيبل

واقبل جون فى تلك اللحظة الى قاعة الطعام ، ووقف برهة ينظر الى ظهر الفاتنة الشقراء ، وهنا قالت له نورما :

ـ أتسمح بالوقوف فى مكانى برهة يا مستر شيكو

فسألها قائلا :

ـ أين اليس ؟

ـ لا أدرى !

ولكنها كانت واثقة ان اليس فى تلك اللحظة مشغولة بقراءة خطابها على ضوء الشمس ، وفجأة احست برغبة عنيفة فى الانطلاق الى إليس ، وفي انشاب أظافرها في وجهها ، وفى اخراج عينيها من مقلتيهما ، والايقاع بها على الارض ثم ضربها ضربا مبرحا

وقال جون وهو ينظر الى الانفعالات المرتسمة على وجه نورما :

ـ ما بالك يا نورما ؟ هل أنت مريضة !

وانطلقت نورما الى غرفة نومها في تسلل وحذر ، وهناك رأت اليس فعلا واقفة بجانب النافذة وقد رفعت الخطاب الى ضوء الشمس، وراحت تبذل جهدها لتقرأ محتوياته

واحست اليس ان الفتاة واقفة وراءها ، فاستدارت فى خجل ، ثم وقفت مندهشة فاغرة الفم مضطربة الوجه وهى تنظر الى نورما التى بدت فى تلك اللحظة كأنما تحولت الى فتاة أخرى

وتقدمت نورما بخطوات ثابتة نحو أليس وقد زمت شفتيها وعضت على نواجزها وركزت عينيها فى وجه المرأة التى أحست بخوف غامض يسرى فى كيانها ، فمدت يدها بالخطاب الى نورما ، فاخذته هذه بهدوء وطوته ووضعته فى صدرها ، ثم تناولت مفتاح حقيبة السفر وفتحتها وراحت تجمع فيها كل حاجياتها دون ان تلفظ بكلمة

وتسمرت اليس فى مكانها وهى ترقب نورما ، فلما تأكدت ان الفتاة تنوى الرحيل فعلا قالت لها :

ـ هل سترحلين اليوم فورا ؟

ولم تجب نورما ، وانما قررت ان تحتفظ بموقفها النبيل ، والا

تسمح لاحد بأن يرغمها على اتخاذ خطوات مخالفة لما قررته

وعادت اليس تقول فى لهجة اعتذار :

ـ اننى لم أقصد أبدا أن أسيء اليك

ولم تقل نورما شيئا ، بل ولم ترفع عينيها الى اليس التى أردفت قائلة فى صوت ينم عن القلق :

ـ يحسن الا تخبرى أحدا بما حدث والا اتهمتك بالسرقة

ومرة ثالثة لم تجب نورما ، وانما مضت الى معطفها الاسود المزين بفراء أرنب ، فحملته على ذراعها ، وتناولت حقيبتها التى كانت تضم كل ما لديها فى الدنيا ، ثم خرجت من الغرفة ومضت بهدوء الى آلة النقد وتناولت منها بقية حسابها ، وكان المبلغ لا يزيد عن أحد عشر دولارا وبضعه بنسات . فلما وضعت المال فى جيب معطفها الاسود ، نظر جون الى وجهها الصارم وقال مندهشا :

ـ ما معنى هذا ؟ ماذا حدث ؟

فقالت نورما :

ـ اننى راحلة معك الى مدينة سان جوان

ـ ان عليك أن تبقى لمساعدة اليس ، فليس من المعقول ان تظل هنا بمفردها

ـ هذا ليس من شأنى . لقد تركت الخدمة

ولاحظت نورما أن الفاتنة الشقراء تراقبها ، وهى تنصرف من القاعة الى السيارة . أما جون فقد هز كتفيه وتمتم قائلا :

ـ ما معنى هذا ؟

وسمعه ارنست هورتون الذى كان متجهم الوجه ، اذ كان فى الواقع يكره اليس ، ولكنه لم يعبر عن كراهيته هذه بالالفاظ ، وانما قال ببرود :

ـ متى سنبدأ الرحيل ؟

ـ فى العاشرة والنصف تماما . اى بعد عشرين دقيقة ، وسوف أمضى الآن لاغير ملابسى ، فاذا اراد احدكم ان يشرب قدح قهوة ، فما عليه الا ان يأتى ويأخذه بنفسه ، وها هو ذا الابريق الكبير الممتلىء بالقهوة

ومضى الى غرفة النوم حيث خلع ملابسه الخارجية ، وانثنى الى

الحمام ليغتسل ، وعندئذ رأى زوجته خارجة منه ، فقال لها :
ـ ماذا حدث ؟ يبدو أن أعصابك انهارت تماما !
ـ انني أعاني من وجع أسنان رهيب ، ولا يزال الوجع مستمرا
ـ ولكن ماذا حدث من نورما ؟
ـ دعها وشأنها . لقد كنت اعلم انى سأفضح أمرها يوما
ـ ماذا فعلت ؟
ـ انها خفيفة اليد
ـ وماذا اخذت ؟
ـ أتذكر زجاجة عطر البللودجيا التى أهديتها الى فى عيد رأس السنة الماضية . لقد اختفت منذ أسبوع ، ثم عثرت عليها اليوم فى حقيبة ملابسها ، ولما جاءت وعرفت الحقيقة قررت ترك الخدمة

واغمض جون عينيه برهة . لقد كان يعرف أن أليس كاذبة : ولكنه لم يهتم كثيرا ، لانه آلى على نفسه الا يتدخل فيما بينها وبين العاملات اللاتى تستخدمهن لمساعدتها

ومضى الى الحوض ، وهو يقول :
ـ ان أعصابك تالفة اليوم يا أليس ، أقترح عليك أن تغلقى أبواب المطعم بعد رحيلنا ، وان تشربى حتى تفقدى وعيك من فرط السكر

فابتهجت أليس وقالت :
ـ وهل سيمضى بمبلز معكم ؟
ـ نعم

وازداد احساسها بالبهجة ، لقد كانت تهفو الى مثل هذا اليوم الذى تقضيه بمفردها تماما ، بلا زبائن ، وبلا عمال أو عاملات ، وبلا خوف من زوجها ، وبلا أية هموم أو متاعب

وكان ارنست هورتون قد اقترب فى تلك اللحظات من الفاتنة الشقراء ، ثم قال لها بعد أن حياها :
ـ أتقبلين أن أقدم اليك قدحا من القهوة وبعض الشطائر ؟
فابتسمت وقالت :
ـ أوه ، شكرا . يكفى قدح من القهوة ؟
وقال مقدما نفسه :
ـ انني ارنست هورتون ، مندوب احدى شركات ألعاب التسلية

فردت عليه قائلة ببساطة :
ـ وانا . . كاميليا أوكس ، ممرضة سابقة بعيادة طب الاسنان
ولم يكن هذا اسمها فى الواقع ، ولكنه ورد على لسانها عفوا ، فقررت أن تظل « كاميليا أوكس » طيلة الرحلة الى لوس انجلوس على الاقل
وقال ارنست وهو يقدم اليها اناء السكر :
ـ يبدو لى انى سمعت هذا الاسم منذ عهد قريب
وكان المستر بريكارد لا يزال مشغولا بتحريك طرف قدمه حركات اختلاجية عصبية ، وكانت زوجته برنيس لا تزال تختلس النظر الى هذه الحركات وقد ادركت ان زوجها مشغول الفكر بشيء مهم
وفجاة نهض واقفا ومضى الى مائدة الخدمة وقال لارنست :
ـ لعلك تقصد انك سمعت عن « جريمة اوكس » حسنا ، اننى واثق ان هذه الشابة الحسناء لا علاقة لها بمثل هذا النوع من الجرائم
ثم ضحك واردف قائلا لاليس :
ـ مزيدا من القهوة ، ارجوك
واختلست ابنته ميلدرد النظر اليه وقد ادهشها هذا التغيير المفاجيء الذى طرا على ابيها ، لقد كان منذ لحظات يتحدث بجفاف ، ويبدو شديد الضيق والقلق ، ولكنه الان لطيف الحديث ، جميل الصوت ، باسم الوجه ، متألق النظرات !
وعادت ميلدرد تحملق فى هذه الشقراء وقد ادركت ان أباها ارتد الى الشباب بسبب وجود هذه الفتاة فى القاعة
وقال المستر بريكارد للفاتنة الشقراء :
ـ اننى واثق أنى رأيتك من قبل !
ونظرت كاميليا الى شارة النادى المثبتة فى ياقة سترته ، ثم أدركت أنه رآها فى احدى الحفلات الترفيهية التى يقيمها النادى لاعضائه العجائز بين الحين والآخر . وكانت ادارة النادى تحرص على استحضار الفرق الاستعراضية التى تعرض ممثلاتها عرايا تماما على المسرح . وقد كانت كاميليا واحدة من هؤلاء الذين أحيوا ليلة حمراء من ليالى النادى ولكنها بطبيعة الحال لم تر المستر بريكارد ، لانه كان مجرد وجه

بين مئات الوجوه المتراصة أمام المسرح أو مجرد عينين بين مئات العيون المحملقة فى جسدها العارى تحت الاضواء الخافتة

واجابت عليه قائلة :

ــ ربما رأيتنى فى مكان ما ، ولكننى لا أذكر أنى تشرفت برؤيتك قبل اليوم

فالح المستر بريكارد فى السؤال قائلا :

ــ الم تكونى يوما ما فى الوسط الغربى ؟

ــ كنت اعمل فى مدينة شيكاغو !

ــ أين ؟

ــ فى عيادة لطب الاسنان

فتالقت عينا المستر بريكارد وقال :

ــ اراهن أنها عيادة صديقى الدكتور هوراس ليفولز . لقد كنت اتردد عليها كثيرا

ــ لا ، انني لم اعمل يوما مع الدكتور هوراس

واصر الميستر بريكارد على مواصلة الحديث مع الفاتنة قائلا :

ــ لسوف أتذكر أين رأيتك ان عاجلا أو آجلا

ولمح بريكارد أمارات الاشمئزاز من موقفه فى عينى ابنته ، وكانت زوجته قد لمحت نفس هذه الامارات فى ذات الوقت ، فقالت له :

ــ اليوت ، هل تسمح وتأتينى بقدح قهوة ؟

وبدا كأن المستر بريكارد ينتفض عائدا الى أرض الحقائق ، فقال بصوته العادى الجاف :

ــ آه ، نعم ، طبعا

وهنا فتح باب المطعم بقوة ، وانصفق بقوة ودخل بمبلز كارسون وقد تغير سمته تماما ، فبعد ان كان مرتديا ملابس العمل الملوثة بالشحم والزيوت ، وبعد أن كان وجهه لايكاد يبين تحت لطع هذه الشحوم نفسها ، اذا به يدخل نظيفا ، أنيقا لايعيبه الا بثور « حب الشباب » المنتشرة فى كل وجهه

ونظرت أليس اليه فى دهشة ثم قالت للحاضرين :

ــ آه ، انظروا الى هذا الكرنفال المتحول !

وازداد شعور بمبلز بكراهيتها ، ولكنه قرر ان يتجاهل تعريضها

به ، وجلس على المقعد الذى تركه المستر بريكارد ليتقدم بالقهوة الى زوجته ، ثم قال :

ـ أريد قطعة من فطير الزبيب الجديد

ثم التفت فى اضطراب نحو الفاتنة الشقراء ، وأردف قائلا :

ـ ينبغى يا آنسة أن تتناولى قطعة من هذا الفطير ، إنه رائع

ونظرت كاميليا اليه ، وأحست بالعطف عليه ، لانها أدركت ما كان يجيش فى صدره عندئذ من عواطف المراهقة . ومن ثم قالت برفق :

ـ لا ، شكرا ، لقد تناولت الافطار فى سان سيبدرو

ـ لسوف أدفع لك ثمنها !

ـ أوه ، شكرا . لا أستطيع

وقالت أليس ساخرة :

ـ ولكنه هو يستطيع ، يستطيع ، وهو واقف على رأسه ، ان يأكل شريطا من الكعك والفطائر يمتد من هنا الى شيكاغو

ولما أعدت الفطيرة لتقتطع منها ، قال لها بمبلز ببساطة :

ـ اجعليها قطعتين من فضلك

فقالت أليس بقسوة :

ـ أعتقد أنك لن تقبض مليما واحدا فى الاسبوع التالى ، لانك اكلت بكل اجرك فطائر وحلوى

وجفل بمبلز متوجعا .. آه ، لشد ما يكره هذه المراة ! ولكن هذه المرأة آليس ، كانت مشغولة عنه بالنظر الى الفاتنة الشقراء ، وتأمل جمالها الصارخ . وكانت فى تلك اللحظة قد أدركت حقيقة الجو السائد فى غرفة الطعام : أدركت ان عواطف الرجال جميعا كانت متجهة كلها نحو واحد كأنما هى مشدودة اليه بقوة مغناطيسية . وازدادت اعصابها توترا وهى تفكر فى تأثير هذه الفاتنة على جون . لسوف تعرف مدى هذا التأثير عندما يدخل القاعة . وكانت قبل لحظات تتمنى أن ترحل السيارة بالركاب حتى تنفرد بنفسها وتشرب الى أن تفقد وعيها ، أما الآن فانهاقد بدأت تتردد وتضطرب وترجو آن يحدث أى شىء يمنع سفر هذه الفتنة المتحركة مع زوجها فى سيارة واحدة

وقال ارنست هورتون :

ـ ان لدى حقيبة مليئة بعينات من العاب التسلية ، ويمكنني ان أعرض عليك بعض هذه الالعاب الحديثة جدا والتى لاتخطر على البال

ونظرت كاميليا الى الشارة الموضوعة فى ياقة سترته وأدركت منها أنه من الذين قاموا بأعمال بطولية فى الحرب الاخيرة .

وقالت الفتاة بصوت هادىء لارنست :

ـ كم مضى عليك من الوقت منذ تركت الخدمة العسكرية ؟

ـ خمسة اشهر

فعادت تتأمل الشارة ثم قالت :

ـ انها شارة وسام التقدير من الدرجة الاولى . أليس كذلك ؟

ـ هكذا يقولون ، ولكنه لا يصلح لشراء أقة من الفاكهة

وضحك الاثنان . وقالت كاميليا :

ـ هل ثبته الرئيس الكبير بنفسه على صدرك ؟

ـ أجل

وانحنى المستر بريكارد ليلتقط بعض الحديث ، حتى يستطيع الاشتراك فيه ، هذا بينما كان بمبلز يقول لكاميليا فى الحاح :

ـ أؤكد لك ان فطيرة الزبيب هذه لا مثيل لها ، تناولى قطعة منها

ـ لا ، لا أستطيع

وقالت اليس لبمبلز :

ـ اذا وجدت ذبابة أخرى فى قطعتك هذه ، فسوف أعطيك بقية الفطيرة كلها فورا

وأدركت كاميليا ، باحساسها الذى قلما يخطىء فى مثل هذه الحالات ، ان هذه المرأة تكرهها . ومن ثم نظرت الى المرأتين الاخريين فى الغرفة ، ولم تلبث أن أدركت أن المسز بريكارد سيدة لاتكره أية فتاة أو امراة اجمل منها ، أما الفتاة ميلدرد ، التى تحاول ان تبقى بلا نظارة على عينيها ، فقد رات انها خطيرة ، وتمنت الا تصطدم بها لاى سبب . وعادت تنظر الى المستر بريكارد وقد رات انه انموذج الكهل الثرى الذى تتمنى أن تعيش معه فى حياة متبادلة المنفعة : هو بماله يضمن لها الاستقرار فى الحياة وهي بجمالها تملا عليه حياته

وفى تلك اللحظة اقبل جون من غرفات النوم وقد ارتدى ملابسه

النظيفة ، ومشط شعره الاسود الغزير الى الوراء ، وبدا وجهه لامعا مشرقا بعد أن أجاد حلاقته . وقال الرجل بصوته الرنان :

ـ هل انتم مستعدون جميعا للسفر ايها السادة ؟

وراقبنه آليس بامعان وهو يتقدم الى قاعة الطعام ، فلاحظت أنه لايلتفت الى الفاتنة الشقراء ، ومن ثم أدركت أن الامر سيكون خطيرا، اذ كانت تعلم أن تجنبه النظر اليها لايعني أنه لايهتم بأمرها ، وانما العكس هو الصحيح

وأقبل العجوز المستر فان برانت ذو العنق المتصلبة ، وقال :

ـ يبدو أن المطر سينهمر مرة أخرى

فقال له جون باقتضاب :

ـ انك ستركب سيارة الجريهاوند التالية

ـ لقد غيرت رأيي وسوف أمضي معكم ، لانى أريد أن أرى المعبر • وبهذه المناسبة ، لماذا لم تستعلم عن حالة المعبر مرة أخرى ؟

ـ لقد استعلمت مرة ، وهذا يكفى

ـ لا ، هذا لا يكفى اطلاقا ، انك هنا أجنبي ، أى لا تعــرف كيف ترتفع المياه بسرعة فى نهر سان سيدرو ، لقد رأيت الميــاه بنفسى ترتفع بمعدل قدم فى الساعة عندما تنهمـر عليه السيول من الجبال

فقال جون في ضيق شديد :

ـ اسمع ، اننى أنا الذى أقود السيارة ، وأنا الذى أقــدر الموقف على حقيقته ، وان لك مطلق الحرية فى أن تمضى هنا او تتخلف عنا

فتلفت فان برانت حوله ثم قال :

ـ اننى لا أدرى ، ولكننى قد أقدم شكوى الى مدير المواصـــلات هنا ، وما انت الا سائق سيارة عامة ، فلاتنس هذه الحقيقة

فقال جون :

ـ هلم أيها السادة إلى السيارة

ومرة اخــرى لاحظت اليس أن زوجها لا يلتفت بنظـــراته الى كاميليا ، مما يدل ، فى رأيها ، على أنه ملتفت اليها بكل عواطفه

أما كاميليا ، فقد تناولت حقيبة سفرها ، واسرعت خارجة الى السيارة دون ان تنتظر احداً من الرجال ، وكانت تشعر بالضـــجر منهم ، كما أدركت أن الفتاة ميلدرد لا تحمل لها أي عطف أو مودة ،

ولكن الفتاة الاخرى ، نورما ، رات انه من الممكن اكتساب مـــودتها بكل بساطة

وقالت كاميليا لنورما وهى تضع حقيبتها بالقرب من مقعدها :

ـ ألديك مانع فى أن أجلس بجانبك ؟

فالتفتت نورما نحوها ببرود وقالت :

ـ يمكنك ان تجلسى حيث تشائين ، فانني لا امتلك هذهالسيارة

ـ ولكننى ارجو ان اجلس بجانبك ، وسوف اخبرك لماذا فيمابعد

فهزت نورما كتفيها ، وافسحت لكاميليا مكانا بجانبها ، ثم قالت لها بعد برهة صمت :

ـ الى اين ستمضين ؟

ـ الى لوس انجلوس

ـ أوه ، عجبا ، اننى ذاهبة اليها ايضا . هل تقيمين هناك ؟

ـ احيانا واحيانا

وكان الرجال قد صعدوا الى السيارة وراحوا يتنافســـون ـ خلسة ـ للجلوس فى المقاعد القريبة من كاميليا ، وكان جون قد تلكأ قليلا فى قاعة الطعام حيث اخذ يتبادل الحديث مع اليس قائلا:

ـ اطمئني وهدئى اعصابك ، وحاولى ان تعودى الى حالتـــك الطبيعية قبل أن أعود اليك . والا فسوف يأتى اليوم الذى لا أعود فيه اليك

وصعد جون الى مقعد القيادة حيث وجد ، لسخطه الشديد ،أن العجوز فان برانت قد احتل أقرب المقاعد اليه هو ، بينما جلس المستر بريكارد فى مقعد امامى ، وكان الرجل الثرى يريد فى الواقع ان يجلس وراء كاميليا على اليمين حيث يستطيع ان يراها ويتبادل معها الحديث طوال الرحلة ، ولكن المسز بريكارد اختارت لجلوسها ذلك المقعد الامامى ، فلم يسع زوجها ، الا الجلوس بجانبها

اما الراكب المحظوظ الذى جلس فى اقرب مقعد الى كاميليـــا فكان الفتى بميلز ، وكان ارنست هورتون هو الجالس بجانبه

وجلست ميلدرد بمفردها على المقعد التالى لمقعد والديها

وجلس جون وهو متوتر الاعصاب يتساءل فى نفسه : لماذا أبقى مع اليس ؟ لماذا استطاعت هى أن تقتنصنى كل هذه السنوات ؟ لقد

تزوجت قبلها اكثر من ست زيجات ، ولم تكن الواحدة تعيش معى اكثر من عامين او ثلاثة ، اما اليس فقد أوشكت أن تتم العام العاشر من حياتها معى ! فلماذا ؟

وراح جون يستعرض الاسباب ، فرأى أنه قد بلغ تلك السن التى يحب الرجل فيها الاستقرار فى حياته ، وأنه أيقن أن أليس مخلصة فى حبها له ، ولا تعيش الا لارضائه ، وهذه وحدها ميزة قلما يجدها فى امرأة اخرى

والتفت الى أليس الواقفة بالباب ، وابتسم لها ملوحا بيده ، ثم أدار المحرك ، واستعد للرحيل

وفيما كانت السيارة تنطلق على الطريق المسفلت الناعم ، رفع جون عينيه الى السماء ، ولم يلبث ان أدرك أن فان برانت كان صادقا فى حديثه من ان السماء ستمطر مرة اخرى

وانحنى العجوز عليه وقال باسما فى خبث :

ــ أتعرف من أين تهب تلك الرياح العالية التى تجمع السحب بعضها الى بعض ؟ أنها تهب من الجنوب الغربى ، وهذا يعنى أن امطارنا تأتى من الجنوب الغربى

فقال جون ببرود : « ليكن .. »

ــ ألا تعتقد اننا سنتعرض للخطر اذا انهمرت الامطار ؟

ــ ان الخطر موجود فى كل مكان ، وقد يموت خبير المفرقعات فى فراشه ، بينما تتحطم عظام العجوز الحذر تحت جرار زراعى

ــ كيف يمكن هذا ؟

ــ كل شىء محتمل !

ــ انني لا أمتلك فى مزرعتى جرارات زراعية على كل حال ، وانما استخدم فى حرث الارض اربعة ازواج من اقوى الجياد

وكاد جون يقول له :

« اننى اعرف رجلا مات برفسة من جواده »

ولكنه آثر الصمت

الفصـل الثامـن

فى الطريق

جلس جون فى مقعد القيادة يرقب الطريق الممتد امامه حينـا ، ثم ينثنى ويرقب الركاب حينـا آخـر بواسـطة المرآة المستطيلة الموضوعة أمامه . وكان الطريق مهجورا ، والبرارى تمتد على جانبيه الى سـفوح التلال البعيدة ، ولم يكن يمر به غير عـدد قليل من السيارات ، وقد شعر جون بالقلق حين رأى أن جميع السـيارات التى مرت بجواره آتية من ورائه ، ولم ير واحدة تأتى من ناحية مدينة سان جوان دى لاكروز ، فهل معنى هذا أن المعبر قد انهار ؟

حسنا ، لو ان هذا ما حدث ، لما بقى أمامه الا أن يعود بالركاب جميعا الى مدينة سان سيدزو حيث يتركهم وشأنهم فى استراحة شركة الجريهاوند ، وفى صفحة المرآة ، رأى ارنست هورتون قـد فتح حقيبة العينات ، وراح يفرج بعبلز على بعض الدمى العجيبة التى تدور وتلف وتطير ثم تختفى ! ولاحظ فى الوقت نفسـه أن نورما والفتاة الشقراء المدعوة كاميليا مستغرقتان فى الحـديث ، وقد مالت كل منهما برأسها نحو الاخرى

وزاد من سرعة السيارة قليلا

لقد خطر له انه لن يستطيع ان يفعل شيئا مع هذه الشـقراء الفاتنة ، اذ لم يكن ثمة وسيلة أمامه للوصول اليها . وقد بلغ جون هذه السن التى جعلته يعرف كيف يفرق بين الممكن والمستحيل . ولكنه فى الوقت نفسه كان يعرف أن فى مقدوره أن يجعل هـذا المستحيل ممكنا اذا واتت الفرص المناسبة

وكانت نورما باردة متحفظة فى موقفها من كاميليا فى أول الامر ، ولكن كاميليـا كانت فى حاجة اليها لتتخذ منها درعا يحميهـا من

السخف اثناء الرحلة ، كما انها أدركت أن ظروفهما متماثلة ، وان مصيرهما فى الحياة واحد

وقالت نورما بصوت خافت حتى لا يسمعها ارنست هوورتون :

ـ اننى لم اذهب ابدا الى لوس انجلوس أو هوليوود . ولست ادرى اين اقيم او ماذا افعل حين اصل الى احداهما

ـ اليست لديك فكرة معينة تنوين أن تنفذيها ؟

ـ ان كل ما افكر فيه الان هو البحث عن عمل ، فى مطعم ، أو فى شىء من هذا القبيل ، ولكننى لن افقد الامل فى الظهور على شاشة السينما يوما

ورفت ابتسامة خفيفة على شفتى كاميليا وهى تقول :

ـ عليك اولا ان تنجحى فى الحصول على عمل بمطعم ، اما التمثيل السينمائى فانه يحتاج الى وقت طويل وجهد بالغ

ـ وهل انت ممثلة ؟ انك تبدين كما لو كنت ممثلة فعلا

ـ لا ، اننى اعمل ممرضة بعيادات طب الاسنان

ـ وهل تقيمين فى فندق ام فى غرفة مفروشة أم فى مسكن خاص؟

فقالت كاميليا وهى تهز كتفيها :

ـ ليس لدى مكان للاقامة فى الوقت الحالى . وقد كان لى مسكن مشترك مع صديقة قبل أن اذهب الى شيكاغو للعمل

فبدت اللهفة فى عينى نورما ، وهى تقول بسرعة :

ـ اننى ادخر بعض المال ، وربما استطيع ان أشترك معك فى استئجار مسكن خاص بنا . واذا ظفرت بعمل فى مطعم ، فاننا لن نتكلف اكثر من ايجار المسكن ، لانى ساعود من العمل ومعى الكثير من الطعام المتبقى

والتمعت نظرة جائعة فى عينى نورما ، وهى تردف قائلة :

ـ ولا تنسى البقشيش ايضا

وأحست كاميليا بالميل والمودة الى هذه الفتاة الوادعة ، ثم نظرت الى وجهها الخالى من فنون الزينة ، وقالت :

ـ سوف نرى كيف تسير الامور

وازدادت نورما ميلا نحو كاميليا وقالت :

ـ انا أعرف ان لون شعرك الذهبى طبيعى ، ولكننى اتمنى أن

تعلميني كيف يمكن تصفيف شعرى هذا الشبيه بذيل الفرس ؟!
فضحكت كاميليا وقالت :
ــ لاشك انك ستدهشين اذا علمت ماذا كان لون شعرى فى اول الامر . ولكن ، انتظرى برهة

ثم راحت تتأمل وجه الفتاة الوادعة ، وتضع فى ذهنها الخطوط الاولية التي يمكنها أن تجمل الفتاة بفنون الزينة وتجعل منها شخصية اخرى

وفجأة قالت لها وكأنما خطر ببالها شىء ما :
ــ اتعرفين يا نورما أننى اهفو الى الحياة فى الريف بين الحين والآخر ؟ اننى أعتقد أن البساطة في الحياة هي اجمل مافى الحياة

▱

ونترك الفتاتين تتناقشان فى هذا الموضوع ، ونمضى الى ميلدرد الجالسة بمفردها ، فنراها تختلس النظر حينا الى وجه جون ، وحينا الى وجهها فى المرآة ، ثم تكر بالذاكرة الى تلك العاطفة المشبوبة التى ثارت فجأة فى أعماق نفسها وجعلتها تتلوى اشتهاء لجون ولهفة عليه

واستبد بها الغضب فجأة ، وخامرها احساس بالعار رغم ايمانها بان احدا ما لم يفطن الى تلك العاطفة ، الا اذا كان جون شيكو هو الذى استنتجها بفكره الثاقب

ولكن عبارة ماراحت تتردد فى صدرها ، بل راحت هى ترددها لنفسها ، « انها ليست شقراء ، وليست ممرضة ، وليس اسمها كاميليا اوكس كما تزعم » ثم اذا بها تضحك لنفسها وتعود فتقول مفكرة :

« انى احاول أن احطمها ، وهذه بلا شك حماقة ، فهل انا غيرى ؟ لماذا لا اعترف باننى غيرى ! واذا اعترفت فهل سيفيدنى الاعتراف بشىء ، لا ، اننى لم استفد شيئا . ولكن هذه اللعينة جعلت من ابى اداة للسخرية ، وانا لن اغفر لها هذا . ولكن ما شانى انا وعواطف ابى الخاصة ؟ هل سأجعل من نفسى رقيبة عليه ؟ اننى أريد فقط فى مثل هذه الاحوال ألا يقول الناس عنى اننى ابنته . ولكن هذه ليست الحقيقة كلها ، وانما الحقيقة هى

انى أريد الذهاب الى المكسيك بمفردى »

ونعود الى المستر بريكارد فنجده جالسا فى شىء من الضجر والشعور بالتعب . والمعروف عنه أنه يكون سريع الغضب عندما يستبد به الشعور بالضجر أو التعب . وكان فى تلك اللحظة يحاول أن يتغلب على شعوره هذا بقوله لزوجته :

ــ يبدو ان هذه منطقة زراعية خصبة . والمعروف أن كاليفورنيا تنتج معظم الخضروات التى تستهلكها الولايات المتحدة الامريكية

اما المسز بريكارد فقد كانت تتصور نفسها فى تلك اللحظة وهى جالسة فى غرفة الاستقبال بمنزلها تتحدث الى الضيوف قائلة :

« ... وظلت السيارة تنساب بنا أميالا بعد اميال بين المروج الخضراء التى تتخللها الزهور الناضرة ، وكأنها بستان جميل ، وكانت معنا فتاة شقراء جعلت الرجال يرتكبون مختلف الحماقات امامها ، حتى عزيزى اليوت . وسوف أحاسبه على موقفه هذا بعد أسبوع . أما الفتاة نفسها ، فكانت مسكينة يبدو عليها أنها من بنات الليل ، وأنها تقيم بمفردها فى الحياة ، ولهذا كان شعورى نحوها اقرب الى العطف منه الى اى شىء آخر . وقد زعمت انها ممرضة ، ولكننى أعتقد أنها ممثلة ، ممثلة ادوار صغيرة كما هو معروف ، فان فى هوليوود آلافا مثلها ، اظن ان عددهن قد بلغ الان ثمانية وثلاثين الفا ، واسماؤهن كلها مسجلة فى دفاتر المتعهدين ، وكل منهن تعيش على امل أن تسمع أجراس مجدها ترن فى السماء يوما »

وتميل راس برنيس على صدرها قليلا وقد شعرت بشىء من الجوع والتعب ، ثم اذا بها تقول لنفسها فجاة :

« ترى ماذا يخبىء لنا القدر من مفاجآت ؟ »

وعندما كانت المسز بريكارد تستغرق فى احلام اليقظة ، كان زوجها يعرف هذه الحقيقة فورا ، ويدرك انها لا تسمع كلمة واحدة مما يقول ، ومع ذلك كان ينتهز هذه الفرصة ليتحدث بصوت مسموع معبرا عما يدور بذهنه من أفكار وآراء مختلفة ، وكان يعتبر هذا تدريبا رائعا للحديث فى المجالات والاوساط المختلفة دون أن يتلعثم أو يضطرب . الا انه فى ذات الوقت كان يشعر انه

واقع تحت تأثير قوى ضـخم يأتى اليه من المقعد الخلفى الذى تجلس عليه هذه الشقراء الفاتنة . ولشد ما كان يتمنى لو أنه كان جالسا مكان هذا الفتى بمبلز ، ومن ثم يستطيع ان يختلس النظر اليها وهو يتحدث مع ارنست هورتون

وفجاة افاق من افكاره حين سمع زوجته تساله قائلة :

ـ كم عمرها فى رأيك ؟

وجفل قليلا حين سمع هذا السؤال الذى كان يدور فى ذهنه فى الوقت نفسه الا انه تمالك اعصابه وقال :

ـ عمر من ؟

ـ هذه الفتاة ، أعنى الفتاة الجميلة الشقراء

فقال فى شىء من الخشونةجعلت زوجته تلتفتاليه فى دهشة :

ـ ومن أين لى أن أعرف ؟

ولكنه ادرك انه ليس هناك مايبرر خشونته ، فأسرع واردف قائلا بصوت هادىء :

ـ ان الفتيات الصغيرات مثلك أدرى بالفتيات الصـغيرات مثلها ! ولهذا يمكنك أن تقدرى عمرها تقديرا أدق من تقديرى

ـ أوه ، اننى لا استطيع ، لانها تضع على وجهها طبقـة كثيفة من مساحيق التجميل ، وكل ما أستطيع ان اقوله هو انها فيما بين الخامسة والعشرين والثلاثين

فقال المستر بريكارد وهو ينظـر من النـافذة الى التلال التى كانت السيارة تقترب منها :

ـ اننى لا أعرف ، ولا يهمنى كثيرا أن أعرف ، وانما الذى يهمنى حقا فى هذه الرحلة هو ذلك الشـاب ارنست هورتون ، انه شاب موهوب ملىء بالافكار الجديدة وبارع فى ابتـكار مختلف الاساليب العصرية لترويج منتجات الشركات . والواقع أنه اثار اهتمامى حقا ، وافكر الان فى أن أجد له عملا بالشركة التى أراس مجلس ادارتها

فقالت المسز بريكارد موافقة :

ـ انه شاب لطيف فعلا ، كما يلوح من سلامة لغته . انه كـريم المحتد و ...

فقال بريكارد فى تململ وضيق :
ــ أوه ، ماذا هناك يابرنيس ؟ ما شان سلامة اللغة وكرم المحتد فى اعمالنا ؟ ان الرجل يكرم لقدرته على الانتاج . وهذه هى الديمقراطية الحقة . الديمقراطية تقول للرجل « أهم شىء فى حياتك هو قدرتك على الانتاج »
وكان بريكارد فى تلك اللحظة يحاول أن يتذكر شكل شفتى الفاتنة الشقراء ، وكان يقول لنفسه : « لو أن شفتيها ممتلئتان تماما ، فهذا دليل على أنها امراة ناضجة تعرف كيف تسعد رجلا مثله »
ثم قال لزوجته بصوت مسموع :
ــ أريد ان اتبادل الحديث قليلا مع المستر هورتون قبل ان نفترق قبل نهاية الخط
ــ ولماذا لا تتحدث معه الآن ؟
ــ انه جالس بجانب ذلك الشاب الصغير
ــ ان هذا الشاب لا يضير ، ولاشك أن الشاب سوف يتنازل لك عن مقعده اذا طلبت هذا منه بلطف
وكانت برنيس واثقة بأن للكلمة الطيبة ، والعبارة الرقيقة المتلئة بالمجاملة ، فعل السحر فى النفوس . وقد اثبتت لها التجارب ان هذه هى الحقيقة
اما الشاب بمبلز ، موضع المناقشة ، فكان جالسا يختلس النظر الى كاميليا ، ثم يعيش فى احلام يقظته النابعة من همسات المراهقة ، ويتصور نفسه راقدا على متكأ من الحرير الناعم ، وكاميليا شبه عارية بين ذراعيه ، يقبلها ، ويتخلل شعرها بأصابعه ، ويهمس فى أذنها بخفقات قلبه
وكانت كاميليا فى تلك اللحظة تقول لنورما :
ــ وكم اتمنى لو أنه كانت للقصر حديقة واسعة مترامية الاطراف ، تتناثر فيها الاشجار الظليلة ، وتكثر فى جنباتها اشجار الفاكهة ، ويقع فى جانب منها حمام سباحة تحيط به المقاعد تحت المظلات و ...
وقالت نورما وهى تحس بغصة فى حلقها :

ـ أخشى يا كاميليا ألا يتحقق لنا مثل هذا الحلم الا في العالم الآخر

وكان بمبلز يقول لارنست هورتون وقد افاق من احلام يقظته :

ـ يقولون أن في مقدوري عندما اجند ، ان اتعلم مهنة ما ، وانا اتلقى الان برنامجا بالمراسلة في هندسة الرادار · واعتقد أنني استطيع استكماله أثناء الخدمة العسكرية !

ـ انني لا ادري ، فالمعروف أن ادارة الجيش تهتم بمثل هذه الشئون خلال الحرب ، أما في أوقات السلم ·· !

ـ هل خضت غمار معارك حامية يا مستر هورتون ؟

ـ خضتها رغما عني ،وكنت في كل معركة اتمنى لو ان الهدنة اعلنت قبل ان اخوضها

ـ في اية منطقة كنت ؟

ـ كانت مناطق الحرب كلها متساوية في البشاعة

ـ لعلي استطيع بعد انتهاء مدة خدمتي ، أن اعمل مندوبا مثلك لاحدى شركات الانتاج

فهز ارنست هورتون كتفيه ، وقال :

ـ انك عندئذ قد تموت جوعا قبل أن يثبت مركزك وتبلغ جزءا من النجاح الذي تتمناه . لقد استغرقت أنا خمس سنوات لتوطيد مركزي ، واقامة العلاقات القوية بيني وبين المستهلكين ، ثم قامت الحرب وانقطعت هذه العلاقات ، وضاعت كل مجهوداتي التي بذلتها في تلك السنوات الخمس ، وهانذا ابدأ من جديد . وليتني تعلمت مهنة استطيع أن أعيش من دخلها في حياة مستقرة مع زوجة وابناء في بيت لطيف

وكان ارنست يقول هذا كثيرا ، لاسيما عندما يسرف في الشراب ، ولكن الحقيقة هي انه كان يهوى الترحال والتنقل ولا يطيق البقاء مدة طويلة في مكان واحد . وقد حدث أن تزوج ، ولكنه خرج من المسكن في اليوم التالي بعد الزواج ، ولم يعد ، حتى راى صورة زوجته منشورة في الصحف عندما قبض عليها بتهمة الزواج من خمسة رجال في وقت واحد !

ثم سأل بمبلز قائلا :

ـ لماذا لا تعود الى المدرسة ؟ فانك لازلت فى سن التلمذة

فقال بمبلز :

ـ اننى لا أريد ان احشو راسى بالعلوم النظرية ، وانى أعتقد ان طلبة الجامعات النظرية مجرد مجموعة من ذوى الرءوس الجوفاء . اننى اريد ان اتعلم فى مدرسة الحياة

والتصقت كاميليا بجانب نورما وراحت تتحدث اليها همسا ، ثم اذا بالاثنتين تنفجران بالضحك بين الحين والاخر . وكانت السيارة فى تلك الآونة قد انعطفت فى منحنى الطريق ومضت نحو المنطقة الجبلية المؤدية الى المعبر . وكان جون يعرف بحكم عمله ان السيارة سوف تقطع خمسة عشر ميلا من المنحنيات الجبلية الوعرة قبل ان تصل الى الطريق المؤدى الى المعبر . ومن ثم راح يركز انتباهه فى القيادة ، ولكنه مع هذا لم يكن بمستطيع أن يمنع نفسه من اختلاس النظر الى الشقراء الفاتنة التى كانت لا تكف عن الضحك مع نورما وكأنهما تلميذتان فى رحلة ممتعة

ونهض المستر بريكارد ليستأذن من بمبلز فى الجلوس مكانه ، ولكن السيارة انحرفت بقوة فى تلك اللحظة فلم يستطع المستر بريكارد أن يسترد توازنه فاذا به يترنح ويتراجع خطوتين ويحاول أن يستند على ظهر مقعده ، ولكنه لم يتمكن ، واذا هو يقع جالسا فى حجر كاميليا

ونهض مسرعا مضطربا وقد سمع صوت تمزق ثوبها ، ثم التفت نحوها بوجه كله الاضطراب وهو يقول :

ـ انى آسف جدا

ـ أوه ، لا عليك ، انك لم تكن تتعمد هذا طبعا

ـ ولكننى مزقت ثوبك

ـ أستطيع ان اصلحه ، ان الامر ليس خطيرا

ـ ولكننى مصر على أن أدفع ثمن اصلاحه

ـ لا لا ، لا داعى لهذا اطلاقا

وقالت لنفسها :

« انه يريد أن يعرف عنوان مسكنى لكى يرسل ثمن اصلاح الثوب ، هكذا هم جميعا ، لا يتركون فرصة دون ان ينتهزوها

لتحقيق أغراضهم »

وهنا قالت المسز بريكارد لزوجها بصوت مرتفع :

ـ اليوت ، ماذا دهاك ؟ أكنت تريد أن تجلس فى حجر هذه السيدة ؟

وانفجر الجميع بالضحك ، حتى جون • وعندئذ لم يعد ركاب السيارة غرباء وانما أصبحوا ، فى لحظة واحدة ، كأنهم اسرة مترابطة الوشائج • لقد أزال الضحك المشترك ذلك الجو المتوتر الذى كان يرين عليهم منذ الصباح

وقال بريكارد :

ـ انك انسانة لطيفة يا مس كاميليا ، والواقع انى لم آت لاجلس على حجرك ، وانما لاتبادل الحديث برهة مع هذا السيد

وأشار الى ارنست هورتون ، ثم أردف قائلا لبمبلز :

ـ اتسمح يا ولدى بان اجلس مكانك لحظة ، فاننى أريد أن اتحدث مع المستر هورتون فى موضوع مهم ؟

وأومأ الفتى برأسه ، وترك مكانه للمستر بريكارد ، هذا بينما كان العجوز فان برانت ذو العنق المتصلبة يقول لجون وهو يتأمل تكاثف السحب فى السماء :

ـ انها ستمطر حتما

فقال جون فورا :

ـ أعرف رجلا مات برفسة قوية من احد جياده

ـ هذا غير معقول ! اننى لم ار فى حياتى جوادا يرفس صاحبه، لابد أن الرجل قد أخطأ فى شىء ما

ـ لقد قتلته على كل حال

قالها جون ثم قرر أن يلزم الصمت

وكانت السيارة فى تلك اللحظة تقترب من سفح هضبة ، وكانت المنعطفات قد غدت أشد انثناء ووعورة

وقال المستر بريكارد لارنست هورتون :

ـ لقد اهتممت كثيرا بحديثك معى فى هذا الصباح يا مستر هورتون ، وانها لمتعة أن يتحدث الانسان مع رجل ذكى كثير التجارب مثلك . اننى دائما أبحث عن رجال من امثالك ليعملوا فى شركتنا

ـ شكرا جزيلا

ـ ولكننا الان نعانى بعض الشيء بسبب المسرحين من الجيش، ان واجبنا الوطنى يحتم علينـــا أن نجعـــل لهم أولوية التعيين فى المناصبالخالية ، ولكنهم ـ بينى وبينك ـ أصبحوا غير صالحين للقيام بأى عمل ، لانه لاشك فى ان الواحد منهم قد علاه الصــــدأ خلال اربع سنوات الحرب

ونظر المستر بريكارد الى وجه أرنست هورتون وهو يتوقع أن يرى عليه أمارات الرضا ، فاذ به يفاجأ بمعالم الغضب والســـخط ترتسم عليه بوضوح ، وهو يقول :

ـ اننى أفهم ما تعنى يا مستر بريكارد ، لاننى شخصيا قد أمضيت من عمرى أربع سنوات فى الحرب

فقال بريكارد مضطربا :

ـ آه ، نعم ، نعم ، ولكنك لا تضع فى سترتك شارة الانتهاءمن الخدمة العسكرية !

ـ لاننى وجدت عملا اقوم به

وأدرك بريكارد انه ارتكب خطأ جسيما ، واختلس النظـــر مرة اخرى الى الشارة الموضوعة فى سترة هورتون ، ثم تذكر فجاة انها ليست شارة احد النوادى كما كان يظن ، وانما هى شارة وســـام التقدير الذى لا يمنح الا لمن قام بأعمال بطولية اثناء الحرب

وقرر أن يصلح خطاه بسرعة فقال معتذرا :

ـ ولكن هذا الراى لا يمنع من القول بأن المسرحين من الخدمة العسكرية فتيان اشـــداء بواسل عرفوا كيف يؤدون واجبهم فى الدفاع عن بلادهم ، ومن ثم وجب علينا أن نرد لهم الجميل

فقال ارنست بصوت مفعم بالغضب :

ـ نعم ، كما فعلتم فى الحرب العالمية الاولى عندما تركتم المحاربين القدماء يكادون يتضورون جوعا

وتمنى بريكارد فى تلك اللحظة أن يقطع الحديث ويعود الىمكانه، ولكنه رأى أن يبذل محاولة أخيرة ليمحو الاثر الســـيىء الذى تركه فى نفس هذا الشاب فقال :

ـ اننى شخصيا كنت رئيس لجنة المدافعين عن صفوفهم،وأيا

كان الامر فانى سعيد بالتعرف عليك ، وارجو بعد المودة من الاجازة ، أن تتفضل بزيارتى فى هذا العنوان ، لانه يسرنى جدا ان اعهد اليك بالمنصب الذى يتفق مع مواهبك

فلانت ملامح أرنسست بعض الشيء ، وقال :

ـ الواقع ياسيدى انى ضقت ذرعا بالتجول فى كل مكان ، وكثيرا ما فكرت فى الحياة المستقرة مع زوجة وابناء ، فهذه هى الحياة السعيدة ياسيدى ، وما اهنأ الرجل منا حين يعود آخر النهار ليجد ابناءه وزوجته فى انتظاره ! انه فى هذه الحالة ينسى كل ما يضطرب فى العالم خارج باب بيته . نعم ، ان الحياه فى الفنادق ليست حياة

ـ صدقت ياعزيزى هورتون ، انك تقول هذا لرجل يعرف صدق كلماتك ، فأنا زوج ووالد منذ واحد وعشرين عاما ، ولو اتيحت لى حرية الاختيار لابدا من جديد مرة اخرى لما اخترت حياة غير هذه

ـ انك رجل سعيد الحظ ،وان زوجتك كما يبدو سيدة وسيمة طيبه القلب

فقال بريكارد وهو يومىء برأسه :

ـ جدا ، ولست ادرى ماذا كان فى وسعى ان افعل بدونها !

ـ لقد تزوجت ذات مرة ، ولكن زوجتى ماتت

وحرص ارنسست هورتون على أن ينطق الكلمات الاخيرة بلهجة تنم عن الحزن مما جعل المستر بريكارد يقول له :

ـ اننى آسف ياعزيزى ، وارجو ان تخفف الايام احزانك . والان اننى لا اريد ان اتدخل فى شئونك الخاصة ، ولكن حديثك عن امكان تحويل بدلة عادية الى بدلة سهرة ، قد اثار اهتمامى ، واحب أن اتحدث معك بشأن هذا المشروع

ـ وانا أرحب بالحديث معك ، ولكننى اكرر القول بأن منتجى بذلات السهرة ، بل اصحاب مصانع الاقمشة ، سوف يحاربون فكرتى حربا لا هوادة فيها

ـ ولكن هل سجلت مشروعك هذا ؟

ـ نعم ، سجلته على طريقتى الخاصة ؛ اذ اوضحت الفكرة

بالرسومات ، ثم وضعتها فى مظروف ختمته بالجمع الاحمر وارسلته بالبريد المسجل الى نفسى ، وبذلك ضمنت تسجيل التاريخ عليه

ـ وهل هذه طريقة قانونية للتسجيل ؟

ـ لا ادرى ، سوف أسأل بشأنها احد المحامين

ففكر بريكارد برهة ثم قال :

ـ ما رايك لو اشتركنا معا ، انت وانا ، فى تنفيذ هذا المشروع ، وانشأنا شركة توصية ، واعلنا اننا سننتج هذا النوع من البذلات على نطاق واسع

فقال ارنست وقد بدأ يزداد اهتماما :

ـ ولكن بعض شركات بيع الاقمشة الكبيرة قد تبادر وتحاول شراء المشروع منا لتقتله ..

ـ المشروع أم الشركة ؟

ـ الشركة وحق الامتياز

فابتسم بريكارد وقال :

ـ نبيعها ما تريد بالثمن الذى نفرضه ، ونكون فى هذه الحالة قد ربحنا مبلغا ضخما لا يخضع لضريبة ارباح المهن التجارية ، وانما لضريبة المهن الحرة .. انتظر .. ويمكننا بعد ذلك أن ننشىء شركة أخرى فى مدينة أخرى وهكذا

وصاح ارنست قائلا فى اعجاب شديد :

ـ ونكرر الموضوع ، يا لك من رجل ذكى يا مستر بريكارد . ان هذا نوع من ابتزاز الاموال ولكن على مستوى عال ...

فقطب بريكارد جبينه وقال محتجا :

ـ هذا نوع من التجارة الحرة يا مستر هورتون . اننى اعمل فى الاسواق المالية منذ خمسة وثلاثين عاما ، ولا يستطيع أحد أن يجد فى سجل اعمالى نقطة سوداء واحدة

ـ اننى لا انتقدك يا مستر بريكارد ، وانما اعتقد انك من ابرع رجال المال . ولكن مشروعنا هذا يحتاج الى رأس مال ، وانا لاأملك المال اللازم لموضوع كبير الاهمية الان ولكننى أستطيع ان اقترضه من احد المصارف ...

ـ ولماذا تريد المال وانا أستطيع أن اقدم اليك ما تريد ؟

ـ انني أريد مالا لتسجيل الفكرة والحصول على حق الامتياز بأسرع وقت . وربما استعنت بمكتب التسجيل بواشنطن

فقطب بريكارد جبينه وقال :

ـ لماذا كل هذه العجلة ، أتعتقد أنني ربما . . .

ـ لا لا أبدا ، ولكنني لن اطمئن حتى اضمن تسجيل الفكرة باسمي

فتراخى بريكارد فى مقعده وقال :

ـ افعل ما يحلو لك يا ولدى ، وكل ما استطيع أن أقوله لك هو انني مستعد لمعاونتك فى اى مشروع مثمر قد يخطر ببالك

فتلفت أرنست حوله برهة ثم قال هامسا :

ـ الواقع انني لا اشك فى أمرك يا سيدى ، ولكن لى صديقتين من بنات الهوى فى لوس انجلوس ، واخشى اذا ذهبت الى مسكنهما أن أفشى سر الفكرة وانا واقع تحت تاثير الخمر . هذه هى حقيقة الموضوع

وتلفت بريكارد حوله ايضا قبل ان يجيب هامسا :

ـ وانا سأمضى يومين فى هوليوود ، وارجو أن نلتقى لكى نتحدث فى المشروع على نطاق اوسع

ـ أتحب ان نلتقى فى مسكن هاتين الصديقتين ؟

ـ لماذا لا ؟ ان الرجل منا يحب ان يرفه عن نفسه بين الحين والاخر . انني سانزل فى فندق بيفرلى ولشاير ، فهل ستأتى لزيارتى فيه

فقال أرنست :

ـ بكل تأكيد . ولكن اى النساء احب اليك : السمراء الخمرية ام الشقراء الذهبية ؟

ـ أوه ، لا تخطىء الظن بى يا مستر هورتون ، انني أحب فقط أن اجلس مع هذا النوع من النساء لقضاء سهرة ممتعة ، لا أكثر

فابتسم هورتون وقال :

ـ ولكن السهرة لا تكون ممتعة فى رأيى ما لم تكن حمراء . وان فى استطاعتى اذا شئت ان اجعلك تقضى ليلة رائعة مع هذه الفاتنة الشقراء الجالسة فى المقعد المجاور !

ـ اسكت ايها الخبيث !

واحس بمبلز بالرغبة الشديدة لان يهرش « حبة شباب » كانت تتكون فى تلك اللحظة بجانب انفه ، ولكنه كبح جماح رغبته ، ووضع يديه فى جيبى بنطلونه ، ثم رأى أن يتسلى بالحديث ، فلم يجد غير ميلدرد اقرب الركاب اليه ومن ثم قال لها :

ـ كم اتمنى لو أتيحت لى فرصة السفر الى المكسيك !

فنظرت اليه باندهاش ولم تجب ، فعاد يقول فى شىء من الارتباك:

ـ واتمنى ايضا لو اتيحت لى فرصة السفر الى الصين لاشتغل مبشرا وطبيبا بين الاهالى البؤساء كما فعل سبنسر تراسى فى فيلمه الاخير

وراح بمبلز يقص عليها تفاصيل موضوع الفيلم ، بينما كانت هى تحاول جاهدة ان تشيح بنظراتها عن وجهه الممتلىء بالبثور الدامية

ولما فرغ من حديثه ، قالت بهدوء :

ـ لقد شاهدت هذا الفيلم

وفى تلك اللحظة ، كانت السيارة قد بلغت الهضبة التى تفصل تلك المنطقة عن نهر سان سيدرو ، وبدات فى طريق الهبوط الى النهر الذى كانت مياهه تتالق من بعيد فى مجراه الملتوى كالافعى الضخمة



الفصل التاسع

أمام المعبر

فى الوقت الذى سقطت فيه اليس شيكو فاقدة الوعى فوق كومة من الفواكه والفطائر أمام مائدة الخدمة بقاعة الطعام ، وصلت السيارة بقيادة زوجها الى الاستراحة التى يمتلكها المستر بريد وزوجته بالقرب من المعبر الاول فى الطريق من ريبلس كورنر الى مدينة سان جوان دى لاكروز

وكانت السماء عندئذ قد تلبدت بكتل من السحب السوداء المنذرة بوابل من المطر الغزير ، وكانت مياه النهر قد ارتفعت الى قاعدة المعبر المصنوع من كتل الخشب والحديد على الطراز القديم ، وكان المستر بريد ، صاحب الاستراحة ، قد ذهب اكثر من عشر مرات الى المعبر ليطمئن عليه ، وكان فى كل مرة يعود وهو مكتئب السمات . وفى المرة الاخيرة راى على صفحة الماء عجلا غارقا من العجول الممتازة فى مزرعة صديقه جينمس وولتر ، ومن ثم أدرك أن مياه النهر فاضت على تلك المزرعة واكتسحت عددا من عجولها وأبقارها الممتازة

ورغم البلاغات التليفونية التى قدمها الى مركز الطرق والكبارى فى المنطقة ، فان أحدا فى المركز لم يحاول أن يسرع اليه لتدعيم المعبر وكان المستر بريد وزوجته يعرفان أن أعمالهما التجارية متعلقة بهذا المعبر ، فاذا انهار ، انهارت معه ، أو ينبغى عليهما الانتظار حتى يقام فى مكانه معبر جديد من الصلب

وتوقفت السيارة امام انابيب البنزين فى الاستراحة ، وترك جون محركها دائرا برهة قبل ان يوقفه ، ثم فتح الباب الجانبى وهبط منه فى نفس اللحظة التى وصل فيها المستر بريد الى جانب السيارة

وتصافح الرجلان بحرارة ، وقال المستر بريد :
ـ الا ترى أنك جئت متأخرا بعض الشيء ؟
ـ لا اظن ، الا اذا كانت ساعتي متأخرة
وهبط بمبلز مسرعا ووقف بجانب الرجلين . وكان في الواقع يريد أن يرى كاميليا وهي تهبط عسى أن يلمح شيئا من ساقيها فيما فوق الركبتين
وقال جون لبريد :
ـ كيف حال المعبر ؟
ـ لا يسر ، ويمكنك أن تلقى عليه نظرة بنفسك
ـ هلم نمضي اليه معا
وهبط بريكارد وارنست هورتون من السيارة ، ومن ورائهما هبطت نورما ثم كاميليا ، وكانت هذه خبيرة في الهبوط من السيارات فلم يستطع بمبلز أن يرى شيئا
ولكنه قال لهـا :
ـ توجد بعض أنواع المياه الغازية هنا في هذه الاستراحة ، فهل اشتري لك شيئا منها ؟
فاستدارت كاميليا الى نورما وقالت لها :
ـ ما رأيك يا عزيزتي ؟
ـ لا بأس
وارتسمت أمارات الاستياء وخيبة الامل على وجه بمبلز ، لانه كان يأمل أن تقبل كاميليا دعوته بمفردها ، ولكن الفتاة المجربة افسدت مناورته . وهتف جون قائلا للركاب انه ذاهب لالقاء نظرة على المعبر ، وسألت المسز بريكارد عن دورة المياه ، فقالت لها نورما انها في الجانب الخلفي من الاستراحة
وعند المعبر وقف الرجلان يتأملان حالته السيئة وهو يهتز بعنف تحت ضغط المياه الصاخبة الفائرة ، واخيرا قال جون :
ـ ما معدل ارتفاع المياه في النهر ؟
ـ نحو ربع متر في كل ساعة ، ومن المتوقع أن تبدأ في الهبوط اذا لم تمطر السماء مرة أخرى ، ولكنها اذا أمطرت ، فسوف يفيض هذا النهر المتقلب ويغرق مساحات شاسعة في هذه المنطقة

وعاد جون يقول وهو يتأمل المعبر :

ـ أعتقد أنه من الممكن عبوره بالسيارة ، أو الاتفاق مع الركاب على أن يعبروه سيرا على الاقدام ثم الحق بهم بالسيارة خالية . ولكن المهم ، كيف حال المعبر الثانى ؟

فهز بريد كتفيه وقال :

ـ اننى لا أدرى ، لقد حاولت الاتصال تليفونيا بمركز الطرق والكبارى فلم استطع أن أجد أحدا يرد على . وأنا لا أنصح لك بالمرور على هذا المعبر اذا ضمنت ان المعبر الثانى سليم ، والا كيف يكون الحال اذا مررت على هذا بسلام ، ثم وجدت الثانى منهارا ، وعندما تأتى عائداً تجد هذا أيضا قد انهار . انك عندئذ ستجد نفسك والركاب والسيارة محصورين بين فرعى النهر فى أخطر منطقة معرضة للغرق السريع

وهز جون رأسه ، وقال :

ـ ان بعض الركاب سيتذمرون جدا اذا انا لم أواصل الرحلة ، لاسيما ذلك الرجل البغيض فان برانت

ـ أتعنى ذلك العجوز العابس ؟ انه مدين لى بسبعة وثلاثين دولارا ثمن بذور بعض النباتات . لقد أبى أن يدفع الثمن محتجا بأن البذور قديمة وغير صالحة . ولكنه مدين لجميع أصحاب المتاجر فى هذه المنطقة . انه رجل خبيث حقا . اذن فهو بين ركابك

ـ نعم ، وبينهم أيضا رجل أعمال كبير من مدينة شيكاغو ، ولا شك انه سيغضب أشد الغضب اذا لم تسر الامور على هواه

ـ حسنا ، عليك أن تختار الموقف الذى يرضيك

فقال جون وهو يعيد النظر الى صفحة السماء المكسوة بكتل الغمام .

ـ اعتقد انه من الممكن المرور فوق المعبر الآن ، ولكن السماء تنذر بالمطر ، واذا أمطرت فسوف ينهار هذا المعبر حتما

وفجأة ابتسم جون وأردف قائلا :

ـ ولكن هناك طريقة واحدة للخروج من هذا المأزق

ـ ما هى ؟

ـ ان ادعهم هم يقررون اتخاذ الخطوة المناسبة . فهذه هى

الديمقراطية

ـ لسوف يتقاتلون قبل أن يصلوا الى قرار

ـ ليتهم يفعلون لاتخلص منهم جميعا

وفي داخل الاستراحة ، كان بمبلز يجلس متجهما وقد شعر أنه خدع في عملية شراء المياه الغازية لفتاتين ، بينما كان يريد أن ينفرد بواحدة منهما فقط ، وعبثا حاول أو يفرق بينهما ، لان كاميليا كانت قد اتخذت من نورما درعا يحميها من مثل هذه المناورات السمجة . أما نورما فكانت مشرقة الوجه بالابتهاج والامل • لانهـا عثرت على أول صديقة وعدتها بالاقامة معها ، ومن يدرى ، فلعلهما تستطيعان استئجار مسكن خاص بهما ، حيث تعيشان فى مأمن من الذئاب البشرية

وقطعت كاميليا حديث بمبلز عن هندسة الرادار التى ينوى أن يتعلمها ، قائلة :

ـ شكرا لك على هذا الشراب يا مستر كارسون • والآن أريد أن أمضي لاغتسل وأزيل بعض أوضار السفر عني ، هل ستأتى معى يا نورما ؟

والتمعت فى عينى نورما نظرة حب وتفان ، وهي تقول :

ـ نعم ، نعم يا عزيزتى كاميليا اننى فى حاجة أيضا للاغتسال

وكان كل ما تقوله كاميليا فى رأيها صوابا وجميلا ورقيقا ، ولشد ما أخذت تبتهل الى الله بكل كيانها : « يارب ، حقق أملى فى الحياة مع هذه الصديقة اللطيفة »

وكان هورتون فى تلك اللحظة جالسا يعرض على المستر بريكارد احدي اللعب اللطيفة التي تنتجها شركته ، وكانت عبارة عن اناء من الخزف على شكل كأس ، ويتصل به خزان على هيئة برميل صغير ، ويتدلى من الخزان مقبض صغير اذا جذبه الانسان ، انسكبت منه كمية معينة من الويسكي أو أى شراب آخر فى الكأس • ولما حاولت المسز بريكارد أن تبدى رأيها فى هذا الاختراع ، قال لها زوجها :

ـ على الفتيات الصغيرات الا يحشرن انوفهن فى اعمال الرجال

وكانت ميلدرد جالسة بمفردها ، مرهقة ، مكتئبة النفس ، بادية السأم ، تراقب محاولات بمبلز للانفراد بالفتاة الشقراء ، وكانت لا تزال تحس بالنفور من هذه العاطفة المتأججة التي تريد أن تدفع بها الى ذراعي جون شيكو ، ولهذا كانت تبذل كل جهدها حتى لا تنهض وتبحث عنه لكي تظل قريبة منه

وفجأة سمعت صوت العجوز فان برانت يقول لها :

ـ يا سيدتي الصغيرة ، ان طرف قميصك الداخلي يبدو من أسفل ثوبك

فوثبت واقفة من فرط المفاجأة ثم قالت وهي تستدير برأسها لترى طرف الثوب :

ـ أوه ، شكرا جزيلا

ـ لو لم ألفت نظرك الى هذا لامضيت اليوم كله هكذا ، وعندما تتبينين الامر في آخر النهار ستشعرين بالخجل وبالسخط على الذين رأوا هذا المنظر دون أن يلفتوا نظرك اليه

ـ أوه ، نعم ، نعم ، أعتقد أن حمالة القميص قد انفصلت

ـ أنا لا يهمني أمر القميص أو حمالته ، ولكنني أردت فقط أن ألفت نظرك ، وأرجو ألا تظني أن هناك دوافع أخرى جعلتني أنظر الى ساقيك ، فان الفتاة منكن تظن أن جميع الرجال لا هم لهم الا النظر الى سيقان الفتيات

وهنا ضحكت ميلدرد فجأة ، فقال لها العجوز :

ـ ما السبب في هذا الضحك الآن ؟

وظلت الفتاة تضحك ضحكا متصلا ، وأخيرا قالت له :

ـ لا شيء ، ولكنني تذكرت فقط انك اكثر الرجال بحلقة في سيقان الفتيات يا مستر برانت ولست أدري كيف يكون شعورك اذا علمت أنني أرتدي ثوبا وقميصا داخليا فقط ، فهل تفهم ما أعني ؟ !

وازداد ضحكها ، وهي ترى العجوز يطرف بعينيه ، ويضطرم وجهه ويرتبك فجأة فلا يحير جوابا . ثم مضت مسرعة نحو دورة المياه واثقة بأنها تركت العجوز في حالة عاطفية يرثى لها

وفي دورة المياه رات ميلدرد الفاتنة كاميليا وهي تقوم بعملية

تجميل وجه نورما على الطراز الحديث ، وقد جلست ميلدرد مدهوشة وهى ترى براعة كاميليا فى توزيع مساحيق التجميل على وجه الفتاة العادية الجمال ، حتى جعلت منها فتاة أخرى تماما

وقالت ميلدرد أخيرا :

ــ انك بارعة حقا في فن التجميل ، وانى أحب أن أحتفظ ببعض نصائحك في هذا الشأن

فقالت كاميليا :

ــ أوه ، ان الامر بسيط جدا ، وما على الفتاة منــــا الا أن تدرس وجهها بامعان وأن تعرف المواضع المناسبة لوضع مختلف مســـاحيق التجميل ، وأنا لا أعترف بوجود فتاة جميلة وأخرى دميمة ، وانمـــا الحقيقة هى أن هناك فتاة تعرف كيف تبدو جميلة ، وأخرى لا تعرف

وبعد أن أصلحت ميلدرد قميصها الداخلى بمعونة كاميليا ، هتفت نورما قائلة بعد أن تأملت وجهها طويلا فى المرآة :

ــ الا أبدو رائعة حقا ؟ من يصدق أننى الآن نورما القديمـة التى كانت تبدو كالقطة الخائفة الهزيلة ؟

فقالت كاميليا باسمة :

ــ نعم يا عزيزتى ، لقد اصبحت الآن فتاة أخرى ، وهذا ما سوف يضاعف ثقتك بنفسك ويجعلك تنظرين الى الحياة بمنظار جـــديد ، ولكن شعرك لا يزال فى حاجة الى المزيد من العناية . وسوف ننظر فى هذا الامر عندما تحين الفرصة المناسبة

فصاحت نورما كالطفل السعيد :

ــ هل يعنى هذا أننا سنبقى معا ، وأننـــا سنبحث عن مســـكن للاقامة معا ؟

ثم استدارت الى ميلدرد وأردفت قائلة :

ــ تصورى يا سيدتى !! تصورى ، لسوف يكون لنا مسكن خاص فيه أضواء خافتة ، وأرائك وثيرة ، ومقاعد أنيقـــة ، ومطبخ كامل المعدات .. ياللروعة ، ياللروعة !

ولكن كاميليا قالت بلهجة جادة :

ــ لسوف ننتظر أولا لنرى كيف تسير الامور ، وعليك بالصبر وعدم الاسراف فى الآمال يا حبيبتى ، اننا يامس ميلدرد فتاتان عاطلتان

فى الوقت الحاضر ، ومع ذلك فان عزيزتى نورما تتحدث عن المسكن ذى الاضواء والارائك !

فقالت ميلدرد :

ـ الواقع اننا مجموعة غريبة فى هذه الرحلة

ـ بل الحقيقة اننا لا نكاد نختلف كثيرا فى أعماق نفوسنا ، فان لكل منا رغبة خاصة يخفيها عن الآخرين ، ورغبة عامة يعلنها

ـ ان الشخص الوحيد المتزن بيننا هو المستر شيكو ، وهو نصف مكسيكى من ناحية الام ، ولكن ذلك الغلام ! أوه ، يخيل لى أنه لا يتردد فى الوثوب على أية واحدة منا اذا سنحت له الفرصة

فقلت كاميليا برفق :

ـ أوه ، انه لا بأس به . كل عيبه أنه لا يعرف أنه يعانى من دور مراهقة حاد ؟ وعندما يعرف هذه الحقيقة ، فلا شك أنه سيكون أكثر سيطرة على أعصابه

فهزت ميلدرد كتفيها وقالت :

ـ أو ربما يعيش طول حياته وهو يعانى من هذا الدور . انظرى الى ذلك العجوز فان برانت ، انه لا يزال فى دور المراهقة حتى الآن ، وان كل أفكاره تدور حول الجنس ، هذا اللعين !

فابتسمت كاميليا وقالت :

ـ عجبا ! انه عجوز جدا

وجلست ميلدرد على مقعد بجوار الحوض ثم قالت فجأة لكاميليا :

ـ اسمعى يامس أوكس ، اننى أريد أن أوجه اليك سؤالا خاصا . وهو ان ابى يعتقد انه رآك فى مكان ما من قبل ، وهو يتمتع بذاكرة قوية ، فهل تعتقدين انك رايته بدورك ؟

ولا حظت ميلدرد نظرة الجفاء التى بدت فى عينى كاميليا فجأة ، وكان صوت هذه الاخيرة ينم عن البرود ايضا وهى تجيب قائلة :

ـ لعله رأى فتاة تشبهنى ، ولا شك أن ذاكرته قد خانته هذه المرة او ربما رآنى وأنا أسير فى طريق عام

ـ اننى لا احاول ان اعرف بعض أسرارك الخاصة يامس أوكس ، ولكننى فقط كنت اتساءل أين رآك أبى من قبل

وفى تلك اللحظة تلاشى من المكان جو الصداقة والزمالة والمودة ،

وخيمت مكانه سحب الشك والتربص ، وكأنما دخل عليهن رجل فجـــأة

وقالت كاميليا بنفس الصوت البارد :

ـ لا شك ان ذاكرته قد خذلته هذه المرة ، ويمكنك أن تصدقى او تكذبى ، فليس هذا من شأنى

وفى تلك اللحظة دخلت المسز بريكارد وقالت لابنتها :

ـ أوه .. هل انت هنا ؟ لقد ظننت أنك ضـــللت الطريق وانت تتجولين فى هذه المنطقة

فقالت ميلدرد :

ـ لقد انقطعت حمالة قميصى ..

ـ حسنا ، اسرعى ، لقد عاد المستر شيكو من المعبر وهو يدير الآن مناقشة كبيرة الاهمية

ـ آه ، شكرا لك يا عزيزتى ..

قالتها لنورما التى تخلت لها عن الحوض ، ثم أردفت قائلة :

ـ لسوف أبلل فقط طرف منديلى وأمسح الغبار عن وجهى ، لماذا لم تتناولى عصير الليمون الطازج ياميلدرد . ان المسز بريد سيدة لطيفة ، بارعة فى اعداد شراب الليمون الطازج ، وقد قلت لها انهـــا قد تظفر بشهرة عريضة فى هذه المنطقة اذا هى تخصصت فى اعداد عصير الفواكه الطازجة

وهنا قالت كاميليا فجأة :

ـ اننى أتمنى لو استطعنا أن نجد ما نأكله هنا . فقد بدأت أشعر بالجوع ، وأريد طعاما وفيرا

فقالت المسز بريكارد :

ـ وهكذا الحال معى ، لاسيما ولا تزال أمامنا مســافة طويلة حتى نصل الى المدينة التالية ، ما اسمها ؟

فقالت نورما

ـ سان جوان دى لا كروز

فكررت المسز بريكارد الاسم فى صوت منغم قائلة :

ـ سان جوان دى لا كروز : ان للاسماء الاسبانية رنينا جميلا

وعادت نورما تنظر الى نفسها فى المرآة وهى لا تكاد تصدق عينيها بسبب التغيير الكبير الذى طرأ عليها

الفصل العاشر

القرار الأخير

كان جون شيكو جالسا على مقعد مثبت امام مائدة الخدمة فى استراحة المستر بريد ، يشرب زجاجة مياه غازية وقد عقد جبينه مفكرا ، واخيرا وضع الزجاجة ونظر الى الجميع وقال فجاة :

ـ هل أنتم جميعا هنا ؟ الا ينقصكم أحد ؟ آه ، انى لا ارى المستر فان برانت بينكم

فقال فان برانت :

ـ اننى هنا

وكان واقفا غير مرئى وراء ارفف الخضروات الطازجة يفحصها ، هذا بينما قال المستر بريكارد :

ـ اريد أن أعرف متى ستستأنف الرحيل . فان لدى اعمالا هامة اريد ان انجزها فى المواعيد المحددة

فقال جون برفق :

ـ اعرف هذا ، ومن ثم اردت ان اتحدث اليكم جميعا . ان المعبر سليم حتى هذه اللحظة ، ومن الممكن اجتيازه بالسيارة . اما المعبر الآخر فليست لدينا اية انباء عنه . انه قد يكون سليما ، او منهارا . فاذا كان منهارا وحاولنا العودة ولم نستطع أن نجتاز المعبر الموجود هنا مرة اخرى ، فسوف نجد انفسنا محصورين فى منطقة انحناء النهر ، وهى منطقة خطرة قد يجرفها الفيضان فى اية لحظة قبل ان يدركنا أحد بالنجدة اللازمة . وأنا شخصيا ليس لى مصلحة خاصة فى هذا الموضوع فاذا شئتم أن نغامر باجتياز المعبر ونواجه القدر المجهول ، فانا معكم ، والا فانى مستعد أن أعود بكم ـ اذا شئتم أيضا ـ الى مدينة سان سيدرو حيث يتصرف

كل واحد منا حسب ما يحلو له . وعليكم الآن أن تتفقوا على راى معين اما بالاجماع أو بالاغلبية المطلقة

وعاد الى زجاجة المياه الغازية يرفعها الى فمه بينما قال المستر بريكارد بصوت مرتفع :

ـ اسمع يا صاحبى . اننى لم انعم باجازة سنوية منذ اعوام طويلة ، لقد كنت مديرا لاحد المصانع الحربية أثناء الحرب ، ولم اظفر خلالها بأجازة اسبوع كامل ، وهذا يعنى أننى فى أول اجازة كاملة لى منذ أعوام ، وأريد أن أنعم بها ، فكيف تريدمنى أن اعود ادراجى الى مدينة سان سيدرو وبذلك تضيع ثلاثة أيام من هذه الاجازة الثمينة سدى !

فقال جون :

ـ انبى آسف يا مستر بريكارد ، اننى لا اقترح هذا عن قصد وانما اخشى اذا وقعنا فى مصيدة فرعى النهر ان تضيع منك الاجازة كلهـا سدى

وهنـا خرج فان برانت من وراء أرفف الخضروات الطازجة ، وتقدم ببطء حتى وقف أمام جون ، ثم قال وهو يعقد يديه وراء ظهرى :

ـ لقد سمعت كل ما قلته يا هذا ، فهل تعتقد ان فى مقدورك خداعنا واضاعة هذه الايام سدى من عمرنا وتعطيل اعمالنا ! ان لدى قضية هامة يجب أن احضرها فى العاشرة من صباح الغد بمحكمة مدينة سان جوان دى لاكروز ، ومن ثم يجب أن أصل الى هذه المدينة اليوم بأية طريقة . وعليك انت أن تجد لنا هذه الطريقة لانك تحمل امتياز هذا الخط الوحيد ويجب أن تتحمل اعباءه ومطالبه أيضا

فقال جون :

ـ وهذا ما اريد ان افعله ، ولكن ليس من اعباء الامتياز ان اتسبب فى قتل الركاب

ـ وهذا يرجع الى جهلك بتضاريس هذه المنطقة ، وكان ينبغى على المسئولين أن يتأكدوا اولا من المام السائق بكل نواحى هذه المنطقة قبل أن يمنحوه حق الامتياز والترخيص . . . ولكنهم

ثم صمت برهة ، وحانت منه نظرة الى نورما ، وبدا الاندهاش واضحا عليه وهو يرى التغيير الذى طرأ عليها ، ولو انه أطال النظر لحظة واحدة أخرى ، لاثار ضحك الجميع ، الا انه تنبه لنفسه ، فالتفت الى جون وقال له :

ـ تقول انه ليس لدينا غير طريقتين : فاما أن نغامر ونمضى لنواجه المجهول بعد المعبر الاول ، أو نعود أدراجنا الى سان سيدرو ولو انك خبير بهذه المنطقة ، لعرفت أن ثمة طريقا ثالثا يمتد بجانب النهر ، وكان يستعمل قبل انشاء المعبرين لمرور المركبات على اختلاف أنواعها

فنظر جون الى بريد متسائلا ، فأجاب هذا قائلا :

ـ لقد سمعت بوجوده ، وهو يدور حول ثنية النهر الواسعة ، ولكننى لا اعرف كيف حاله الآن

فقال فان برانت :

ـ لقد ظلت المركبات تستعمله مائة عام

وقال بريد :

ـ اعرف ان الطريق لا بأس به مسافة ميلين ، اما فيما عدا ذلك فلا اعرف الا انه يصعد الى الجبل من الناحية الشرقية ، هناك ، ولكن من المحتمل ان تكون العوامل الجوية قد محت آثاره

وصاح فان برانت مهللا :

ـ انا الذى تنبأت بالمطر ، وانا الذى قلت لكم ان النهر سيفيض ، وان المعابر عليه قد لا تحتمل الفيضان ، وانا الذى دللتكم على هذا الطريق الثالث ، فماذا تريدون منى اكثر من هذا ؟ لعلكم تريدون أن اقود لكم هذه السيارة اللعينة ؟

فقال جون بحدة :

ـ حسن ألفاظك يا مستر برانت ولا تنس ان معنا سيدات !

فهز فان برانت كتفيه وقال :

ـ يالها من رحلة كانت من اولها .. شؤما !

واستدار جون الى الباقين وقال لهم :

ـ ان حق الامتياز الذى معى يحتم على السير عن طريق المعابر ،

وانا لا اعرف شيئا عن الطريق القديم ، بل لا أعرف اذا كان من الممكن اجتيازه بالسيارة أم لا. وعليكم الآن ان تقرروا ماذا تريدون. وكل ما ارجوه لنفسي هو الا تنحوا على باللائمة فيما بعد

فقال المستر بريكارد :

ـ انني تعودت الا اقف فى منتصف الطرق ، واريد ان اصل الى لوس انجلوس فى الوقت المناسب ، لان لدى تذاكر سفر بالطائرة منها الى المكسيك . فهل تعرف كم ثمن تذكرة السفر بالطائرة ايها الرجل ؟ والآن يجب أن نمضى فى طريقنا ، فهل تعتقد أن حالة المعبر تنذر بالخطر ؟

ـ نعم

ـ وترى انك لا تضمن اجتيازنا للطريق القديم ، اليس كذلك ؟

ـ نعم

ـ هذا يعنى أن علينا أن نختار بين امرين كلاهما مر

وهنا قالت المسز بريكارد :

ـ ايا كان الامر يا عزيزى اليوت ، فيجب أن نصل بسرعة الى احدى المدن ، اننى لم أستحم منذ ثلاثة أيام

وقالت ميلدرد :

ـ اننى أوافق على اتخاذ الطريق القديم ، وليكن ما يكون

ونظرت الى جون لترى اثر كلماتها عليه ، ولكن هذا كان ينظر فى تلك اللحظة الى كاميليا التى كانت تقول عندئذ :

ـ اننى ايضا اوافق على المضى فى الطريق القديم ، فقد بلغ بى التعب والاجهاد حدا يجعلنى لا اهتم كثيرا بما قد يحدث

ونظر جون الى نورما وقد ادهشه ما طرا عليها من تغيير ، ولاحظت هى دهشته بقلب خافق ، ولكنها اطرقت براسها وقالت :

ـ وانا اوافق على الطريق القديم

وهنا قال ارنست هورتون :

ـ وانا لا يهمنى كثيرا ان اصل الى لوس انجلوس فى الموعد المحدد أم بعده باسابيع ولهذا فانى سأمضى مع الاغلبية

وهنا ضرب فان پرانت مائدة الخدمة بكفه وقال معترضا :

ـ ان السماء سوف تمطر ، ومن المحتمل ان تقع السيارة فى

حفرة مملوءة بالماء لا يمكننا اخراجها منها ، ومن المحتمل ان يغدو الطريق الصاعد الى سفح الجبل زلقا فلا تستطيع العجلات ان تمضي فيه ، وهذا يعنى اننا معرضون لخطر التعطل فى منطقة موحشة قد نظل بها يوما أو أكثر قبل أن تأتينا النجدة

فقال جون مندهشا :

ـ ولكنك أنت الذى اقترحت الطريق القديم

ـ ولكننى لم أقترح استخدامه فى مثل هذه الظروف

ـ ان احدا لا يرغمك على الركوب معنا ، ويمكنك البقاء فى هذه الاستراحة حتى تعود الى مدينة سان سيدرو مع اية سيارة فى الطريق اليها

ـ وقضيتى غدا فى مدينة سان جوان دى لاكروز ؟

وهز جون كتفيه فى يأس ، ونظر الى الجميع متسائلا ، ثم قال لبمبلز :

ـ وأنت يا كيت ، ما رأيك ؟

ـ اننى مع الاغلبية يا ريس

ـ اذن فقد اخترنا جميعا ، فيما عدا واحدا ، الطريق القديم

ولما حاول العجوز أن يمضى فى احتجاجه ، استدار جون الى المستر بريد وقال له :

ـ اريد منك بعض الادوات ، وسوف أعيدها اليك عند عودتنا

ـ أى نوع من الادوات ؟

ـ جاروف ومعول وكمية من الحبال ورافعة

ـ أوه ، اذن فأنت تتوقع أن تغوص عجلات السيارة فى الوحل !

ـ كل شيء متوقع فى مثل هذه الظروف

ـ حسنا ، اذهب الى قسم الادوات واختر منها ما شئت

ومضى جون مع بمبلز الى قسم الادوات القائم فى مبنى صغير وراء الاستراحة ، بينما قال ارنست لكاميليا :

ـ اننى مستمتع بما يحدث تماما .. فالانسان لا يجد مثل هذه المآزق الممتعة كل يوم

فقالت الفتاة وقد فهمت غرضه الحقيقى :

ـ اننى فقط متعبة ، فقد ظللت اركب سيارات السفر خمسة

ايام لم اغير ملابسي فيها ، ولم انم كما ينبغي ليلتين

ـ ولماذا لم تسافري بالقطار ؟ لقد جئت من شيكاغو . اليس كذلك ؟

ـ نعم ، شيكاغو

ـ اذن كان في مقدورك ان تركبي القطار الفاخر الملحق به مركبات الاكل والنوم

فهزت كاميليا كتفيها ، وقالت :

ـ ومن اين لي المبلغ الكافي لركوب مثل هذا القطار ؟ ان ما معي من نقود لا يكاد يكفيني اكثر من اسابيع قليلة حتى أجد عملا آخر. ولهذا فاني افضل سريرا لشخصين على سرير لشخص واحد !

فابتسم ارنست وقال بغموض :

ـ هل تعنين ما تقولين حقا ؟

ـ نعم ، اليس هذا افضل من اللف والدوران ؟

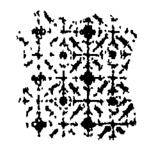
ـ اذن فأنا تحت امرك

ـ شكرا

وكانت نورما تراقبهما وتحاول أن تفهم المعاني التي ينطوي عليها حديثهما . ولكنها لم تستطع أن تفهم شيئا ، ومن ثم اكتفت بان اخذت تلتهم وجه كاميليا اعجابا وحبا واخلاصا

وهنا سمع الجميع صوت جون من الخارج يقول :

ـ هلم ايها السيدات والسادة



الهرب

كان الطريق الخلفي الذي يدور مع نهر سان سيدرو طريقا قديما جدا لا يكاد أحد يعرف تاريخه . وكانت المركبات تستعمله حقا ، وكذلك المسافرون على متون الجياد ، وفي مواسم الجفاف كانت الماشية تساق فيه الى النهر حيث كانت ترقد تحت ظلال الشجر اثناء الهجرة ، وتشرب من البرك المحفورة في مجرى النهر . ذلك ان نهر سان سيدرو كان في فصول الجفاف تكاد تجف مياهه أما في فصول الامطار فيمتلىء ويهدد بالفيضان في أكثر المواسم . وكان الطريق في الواقع لا يعدو أن يكون شريطا من الارض يمتد بحذاء النهر الملتوى ، ولا تحدده الا آثار العجلات وحوافر الجياد ، وهو في الصيف كثير الغبار وفي الشتاء كثير الاوحال ، وبعد أن قل استعماله كثرت فيه الحفر والمطبات ، وتساوت أجزاء منه مع الاراضى المحيطة به

في هذا الطريق استعد جون ليقود السيارة بعد ان جلس في مقعد القيادة منتظرا حتى يستقر الجميع في مقاعدهم ومصمما على انه لو تعطلت السيارة لسبب ما ، فسوف يتركها ويمضى .. يمضى الى حيث لا رجعة . وان هذا الخاطر ليملأ نفسه بالابتهاج ، وكأنما هو تلميذ يوشك ان ينال اجازته السنوية التي سيقضيها في مناطق مليئة بالسحر والمغامرات

وقال الركاب بصوت ينم عن بهجته الخفية :

ـ انني لا ادرى هل سنستطيع اجتياز هذا الطريق أم لا

وسرت موجة من القلق بين الركاب وهم يحسون بهذه البهجة الخفية التي بدت في صوت جون !

وانسابت السيارة منحرفة الى الطريق القديم ، وازداد وجه

السماء تليدا بالسحب المتكاثفة ، وبدا للجميع بوضوح أن المطر فى هذه المنطقة سوف ينهمر بغزارة كأنما يسقط من أفواه القرب . وقد قال فان برانت فى زهو :

ــ ان المطر قد أوشك على الانهمار

فقال جون

ــ نعم

وقال المستر بريكارد بصوت مرتفع :

ــ ما طول هذا الطريق ؟!

ــ يقولون ثلاثة عشر ميلا وربما خمسةعشر

وانطلقت السيارة على الطريق القديم ، وانطلقت معهـــا أفكار جون . وكان بين الفينة والفينة ينظر الى تمثال صغير للعذراء معلق ــ على سبيل البركة ــ فى سقف السيارة امامه مباشرة . وفى خلال هذه الفترة التى كانت السيارة تجتاز فيها الطريق الموحل ، راح هو يحدث العذراء بأفكاره قائلا :

« انت يا سيدتى المقدسة تعرفين اننى لم أكن سعيدا فى السنوات الاخيرة ، واننى لم ارض البقاء فى المصيدة التى وقعت فيها الا بدافع من الشعور بالواجب ، وهو شعور ليس متاصلا فى نفسى كما تعلمين، لا سيما اذا كان هذا الواجب لا فائدة لى فيه . وانا الآن ساضع بين يديك اتخاذ قرار أخير فى مصيرى ، لانى لا استطيع ان اتحمل بمفردى مسئولية الفرار من زوجتى ، ومن مؤسستى الصغيرة . فلو كنت اصغر سنا ، لما ترددت فى اتخاذ هذه الخطوة ، اما الان ، فانى بلغت سن الكهولة ، وتعودت على الراحة ، ولم تعد لعضلاتى قوتها ، ولا لجسمى قوة احتماله . وانى أضع مصيرى الان بين يديك ، وأنا أسير على هذه الطريق بغير ارادة منى . فاذا تعطلت السيارة او غاصت عجلاتها الخلفية ، وكان فى مقدورى بأية وسيلة ممكنة أن أعيدها الى العمل ، فلن اتردد فى ذلك ، واذا كان ثمة احتياطات لازمة لضمان اجتياز الطريق فى سلام ، فسوف اتخذها ، اما اذا رايت لحكمة خفية أن تغوص السيارة مثلا حتى محاورها بحيث لا يمكن انتشالها الا بمساعدات خارجية ، فانى سافهم من هذا انك تريدين منى أن انطلق الى حياة جديدة »

وتنفس جون بعمق ونشوة ، وتألقت عيناه بالترقب والامل، وكان فى مقدور ميلدرد أن ترى وجهه فى المرآة الموضوعة امامه ، ومن ثم عجبت لما يبدو عليه من نشوة واشراق وابتهاج ! وقالت لنفسها : هذا هو رجل .. رجل كامل الرجولة ، رجل من النوع الذى تشتهيه المراة الكاملة الانوثة . انه رجل يأبى ان يكون فى أعماق وجدانه اى احساس انثوى ، بل يأبى ان يغوص فى اعماق نفسية المرأة ، لان هذا يستلزم الالمام بمشاعرها الخاصة ، وهو يأبى ان يفعل هذا

وزال كل شعور من عواطفها الجنسية المشبوبة نحوه . انها عواطف طبيعية لفتاة مكتملة الانوثة مثلها ، نحو رجل مكتمل الرجولة مثله . فلماذا تنفر من عاطفة طبيعية كهذه ، ولماذا تحاول كبتها والقضاء عليها ؟

وتنهدت اخيرا فى ارتياح

وكانت امها تكتب فى ذهنها عندئذ خطابا آخر الى صديقتها ايلين تصف فيه بقية هذه الفترة من الرحلة

وقال فان برانت عندما اقتربت السيارة من منطقة يرتفع فيها الطريق تدريجيا :

ـ هل لديك سلاسل تمنع العجل من الانزلاق الى الخلف ؟

فقال جون فى سرور :

ـ لا . اننى لم اشتر هذا النوع من السلاسل حتى قبل الحرب

فصاح فان برانت قائلا ، وهو يشير نحو الشرق :

ـ فى هذه الحالة لن تستطيع ان تمضى فى الطريق الصاعد الى ذلك السفح

ثم اردف قائلا للركاب :

ـ ان السيارة تمضى على الطريق المستوى بلا عوائق او صعوبات ، ولكنها لن تستطيع ان تصعد ذلك الطريق المرتفع ، عند الشرق ، بسبب وحولة الطرق

وكان بمبلز فى تلك اللحظات يشعر ايضا بلون عجيب من البهجة والرضا . اذ كان يكفى ان يشعر بوجود كاميليا على مقربة منه حتى يحس ان الحياة جميلة كاجمل ما ينبغى ان تكون . ذلك ان عصارة المراهقة التى تلهب دمائه ، كانت تجعله لايفكر ليلا ونهارا الا فى شىء

واحد ، وهو جسد المرأة . . وكلما كانت المرأة شابة وجميلة ، كان تفكيره فيها يزداد تركيزا وقوة

وكان منذ رأى كاميليا ، وهو يشعر ان كل أفكاره وأشواق جسمه تتجه اليها ، وتتركز فيها ، ومن ثم كان يتصور نفسه وهو يتقدم طالبا الزواج منها ، ثم وهي تقبل هذا العرض ، ثم وهو يقضي معها الليلة الاولى ، ليلة العمر . ولكنه لا يلبث ان يشعر بالحيرة والارتباك حين ينظر في اتجاهها ، فيرى انها لاتكاد تشعر بوجوده !

وسمع بمبلز همسات المراهقة تطن في اذنه قائلة : حسنا جدا ، اذا لم استطع أن انال كاميليا فقد استطيع الظفر بنورما . انني لا اخشاها كما أخشى ربة الجمال ، كاميليا هذه ! ومن ثم راح ، بلا وعي ، يفكر في الوسائل التي يمكن بواسطتها الايقاع بنورما بين أحضانه . وفي تلك اللحظات كانت « حبة شباب » جديدة قد نضجت ، فمد يده بلا ارادة وهرشها بظفره ؛ فانثالت منها الدماء ، وهنا أسرع ووضع منديله على خده ، ودس يده الاخرى في جيبه حتى لا يعود الى عملية الهرش !

وكان المستر بريكارد يحاول دائما ان يزيل كل شك في نزاهته قد يخامر ذهن آرنست ومن ثم قرر أن يقدم اليه اختراعا صغيرا بلا مقابل، كان قد فكر فيه من قبل ، وهاهو ذا يقول له :

ـ ان لدي فكرة جديدة عن ازرار اكمام القميص ، وأرجو ان تعرضها على شركتك فربما تعجبها وتوافق عليها

فقال أرنست هورتون بلا اهتمام في أول الامر :

ـ ان شركتي لا تهتم الا بألعاب التسلية والفكاهة ، ولكن لا بأس ان يسمع الانسان أية فكرة جديدة

ـ ان الواحد منا قد يقع في مأزق حين يحاول ان يشمر اكمام القميص فوق المرفق ، فلا يستطيع الانسان ان يعيده الى مكانه ، ولا يستطيع في الوقت نفسه ان يفك الزرار !

فهز ارنست كتفيه وقال .

ـ هناك نوع من الازرار يشبه «الكبسولة» يمكن فكها بسهولة

ـ انها انواع رخيصة قلما يقبل عليها احد

ـ اذن ما هي فكرتك الجديدة ؟

فابتسم المستر بريكارد ثم قال :

ــ فكرة بسيطة وعملية ، وهى ان تربط بين كل زوج من الزراير لولب من الصلب يتسععندما يشمر الانسان كمهرينكمش عندما يعاد الكم الى مكانه . وبطبيعة الحال يمكن وضع هذا اللولب داخل انبوبة ذهبية للنوع الثمين ، أو معدنية للنوع الرخيص

فأومأ ارنست براسه وقال :

ــ هذه فكرة طيبة يا سيدى ، ومن السهل تنفيذها

ــ يمكنك ان تتبناها وتستفيد بكل ما يعود عليك من أرباح عند تنفيذها

فنظر ارنست اليه مندهشا وقال :

ــ هل تعنى يا سيدى أنك تتنازل عن حق استغلالها ؟

ــ نعم نعم . هذا ما اعنيه بطبيعة الحال ، لاننى أعجب دائما بالشبان الموهوبين المكافحين امثالك . وانه ليسرني جدا ان أقدم اليهم اية خدمة ممكنة لمعاونتهم على شق طريقهم فى الحياة

فقال ارنست وهو يتناول مفكرته من جيبه :

ــ اننى عاجز عن شكرك يا سيدى ، ولكن التنازل يجب بطبيعة الحال ان يكون كتابيا ، ولهذا أرجو ان نلتقى لمناقشة الموضوع اثناء وجودك فى هوليوود

ثم غمز بعينيه خلسة نحو المسز بريكارد وأردف قائلا وهو يقدم الورقة المنزوعة من المفكرة :

ــ هذا عنواني ورقم تليفوني . فندق آلوها آرمز ، همستيد ٥٥٢٣ الغرفة ١٢ ب

وتناول المستر بريكارد قصاصة الورق ووضعها فىحافظة نقوده ثم التفت الى زوجته وقال :

ــ هل انت بخير يا فتاتى الصغيرة ؟

ــ نعم ، نعم . لقد كاد ذلك الصداع اللعين يهاجمنى ، ولكننى قاومته واكدت لنفسى اننى لن اصاب به اليوم على الاقل حتى لا افسد الاجازة عليك يا عزيزى

ــ اننى سعيد جدا يا عزيزتى

ثم وضع يده على ركبتها وضغط عليها قليلا ، ولكنها ضربته على يده مداعبة

وكانت نورما قد وضعت فمها بالقرب من اذن كاميليا حتى لايسمع احد حديثهما ، ولا سيما بمبلز الذى كان يحاول جاهدا ان يلتقطه وقد كانت فى تلك اللحظة تقول لكاميليا :

ــ اننى فى الواقع وحيدة فى الحياة ، ليست لى اسرة اطلاقا . أعنى ليس لى أخوة أو اخوات او والدان

وعادت تقول :

ــ وعندما يكون الانسان وحيدا فى الحياة يقول ويفعل أشياء عجيبة . فمثلا كنت أحب ان أكذب على الناس ، وان اتظاهر امام الناس على غير حقيقتى ، بل كنت أخدع نفسى واتصور انى أحب نجما سينمائيا معينا ، ثم .. ثم اتخيل نفسى ، وأنا زوجة له !

ويبدو ان العبارة الاخيرة انفلتت من لسانها رغما عنها ، لانها لم تكن تقصد أن تتمادى الى هذا الحد فى التصريح بكل ما يدور بذات نفسها ، ثم أنه ما كان ينبغى ــ فى رايها ــ ان تقول هذا ، لانها شعرت عندئذ كانها خذلت المستر جيبل ، ولكن عجبا ! انها تتحسس مشاعرها وتفحصها ، فتجد أن هذه المشاعر لم تكن كما كانت بالنسبة للمستر جيبل ، لقد تحولت كلها الى كاميليا ، وقد صدمتها هذه الحقيقة وجعلتها تتساءل : ترى هل أنا هوائية متقلبة !

وقالت كأنها توضح الامر :

ــ ان الانسان عندما يكون محروما من الاسرة والاصدقاء ، يحاول ان يصنعهم ولو بخياله ، أليس كذلك يا حبيبتى ؟ اما الآن ، فلاداعى لان أصنع من الاوهام أهلا وأحبابا ، لانك ستقيمين معى فى مسكن واحد وتملئين على حياتى

وأدارت كاميليا وجهها حتى لا ترى أمارات اللهفة والتفانى فى الاستسلام المطلق فى عينى نورما . ثم قالت لنفسها فى حيرة : « يا للكارثة ! ماذا افعل الآن ، لقد وضعت نفسى فى مازق لا أعرف كيف الخلاص منه . فكأنما قد ولدت لى ابنة كبيرة على حين غرة ، وانا لا ادرى ماذا أقول لها عن حقيقة امرى ؟ اننى قد احتملها واعيش حياتها لمدة معينة ، ولكننى قد أموت من فرط السأم والضجر . ثم كيف يكون الامر لو أن صديقتى الحميمة لورين تترك عشيقها

مندوب شركة الاعلانات لتستانف الحياة معى ، فماذا افعل بنورما هذه ؟ ما الذى جعلنى اتمادى فى علاقتى بها الى هذا الحد بحق السماء ؟ »

والتفتت الى نورما وقالت لها بصوت حاد :

ــ اسمعى يا حبيبتى ، اننى لم أعدك وعدا قاطعا بالسكنى معا . وانما قلت لك سوف نرى كيف تسير الامور . وان هناك الشىء الكثير الذى لا تعرفينه عني . فأنا مثلا مخطوبة للزواج ، وربما يصر خطيبى على التعجيل به ، فاذا اصر على هذا فانني عندئذ لا استطيع أن أقيم معك فى مسكن واحد

ورأت كاميليا أشباح اليأس تتزاحم في عينى نورما ، ومع هذه الاشباح رات الفزع الرهيب ، ولمحت عضلات خديها وهى تتخاذل ، وجوانب فمها تتراخى ، وجسمها كله يوشك أن ينهار

وقالت كاميليا لنفسها « يمكننى ان اجد غرفة فى المدينة التالية اختبىء فيها منها حتى تيأس من العثور على . آه ، يا الهى . كيف أوقعت نفسي فى مازق كهذا . ولكننى الآن متعبة جدا ، واريد حماما ساخنا »

وزمت نورما شفتيها بقوة واغمضت عينيها قليــلا ، واحست بزفيف محرك السيارة كانه دوى طبول غامضة فى رأسها . ولكنها لم تلبث ان تمالكت نفسها ، ثم قالت لكاميليا فى لهجة اعتذار :

ــ لعلك تشعرين بالخجل من مصاحبتى لك ، وانا لا الومك على هذا ، لانى لا اصلح للخدمة فى المطاعم والمشارب ، ولكننى استطيع أن أتعلم فن التمريض اذا رأيت ان اتعلم ولسوف أستذكر دروسى ليلا وانا اعمل بالخدمة فى احد المطاعم نهارا . وتأكدى انى سأنجح في هذا ،وأنك لن تشعرى بالخجل منى بعد ذلك . وأعتقد أنك لن تتعبى كثيرا فى مساعدتى

وشعرت كاميليا بنوبة غثيان فى معدتها ، واذا هى تقول لنفسها فى يأس :

« يا الهى الكبير ، لقد أوقعت نفسي فى مأزق لا نجاة منه . فماذا اقول لها ؟ هل اكذب عليها مرة اخرى ؟ ام الافضل ان اصارح هذه الفتاة البريئة بحقيقة أمرى ، فأقول لها اننى التقط رزقى بمصاحبة

الرجال ، وبالوقوف عارية تماما فى بعض الاستعراضات المسرحية الخاصة ؟ اننى لو صارحتها بهذا فربما اصدمها واصدم مبادئها فى الفصيلة فترفض ان تكون صديقة لى . ولعل أن يكون هذا هو الحل الوحيد . ولكن لا ، ان الحل الوحيد هو أن اهرب منها فى زحمة الطريق »

وكانت نورما تقول عندئذ :

ـ اننى اتمنى ان تكون لى مهنة لها احترامها مثل مهنتك

وقالت كاميليا فى يأس :

ـ اسمعى يا حبيبتى ، اننى متعبة جدا بحيث اعجز عن التفكير السليم . لقد ظللت بضعة ايام وانا فى حالة سفر . ولهذا ارجو أن نفكر فى الامر بعد ان نستريح ، ثم ننظر كيف تسير الامور

فقالت نورما :

ـ اننى آسفة ، فقد نسيت هذه الحقيقة من فرط انفعالى . ولن اتحدث معك فى هذا الموضوع حتى نرى كيف تسير الامور

ـ نعم ، هذا احسن

وتوقفت السيارة فجاة ، ونهض جون من مقعده ليتأمل حفرة فى الطريق مملوءة بالماء لا يعرف مدى عمقها ، انها قد تبلغ من العمق بحيث تختفى السيارة فيها تماما . ونظر بسرعة الى تمثال العذراء ثم همس لها : « هل أغامر بالمرور فوق هـــذه الحفرة ؟ » وكانت العجلات الامامية عند حافة الحفرة ، ومن ثم تراجع بالسيارة قليلا ، ثم أطلق لها العنان ، فاندفعت السيارة فى الحفرة ، ثم خرجت منها سالمة

ولما اشرق وجهه بالانتصار ، قال له العجوز برانت :

ـ مهلا ، انتظر حتى نبلغ السيارة الطريق الصاعد الى الهضبة

فلوى جون شفتيه وقال :

ـ ان من يسمعك يعتقد انك تتمنى ان تتعطل السيارة فى الطريق لاى سبب

ووصلت السيارة الى مكان سوى فى الطريق بأعلى التل ، وخفت حدة المطر بعض الشيء . ونظر جون الى تمثال العذراء المعلق فوق رأسه وقال باسما « لسوف أبر بوعدى واحتاز بالركاب هذا الطريق الوعر

اذا كان ذلك ممكنا ، أما اذا . . »

ونظر جون الى صخور التـــلال المرتفعة على يمينه ، والى بعض الكهوف المحفورة فى جوانبها بواسطة العوامل الطبيعيه أو البشرية ثم أحس بالرعدة تسرى فى كيانه وقد خيل اليه أن هذه الـــكهوف ليست الا عيونا سوداء تنفذ الى أعماق نفسه وتستشف حقيقـــة مشاعره

وانطلقت السيارة بأمان على الطريق الموحل المكسو بالحصـــباء ، ولولا هذه الحصباء لما سهل على السيارة الانطلاق بهذه السرعـــة ، وفجأة رأى جون أمامه منخفضا فى الطريق ملىء بالماء والاوحـــال ، ولكنه لم يتوقف ، لان التوقف لا جدوى منه ، وانما زاد من السرعة ، واندفع بالسيارة ، وكاد يجتاز المنخفض بسلام ، وبلغت العجـــلات الامامية حافته البعيده ، ولكن العجلات الخلفية غاصت فى الاوحال وضغط جون على صمام البنزين ليزيد من سرعة السيارة . ولـــكن العجلات كانت تزداد غوصا فى الحفرتين اللتين صنعتهما فى أوحال المنخفض ، كلما حاول جون ان يزيد من سرعة دورانها

وأخيرا استقرت السيارة على عمود المحاور « الدفرنسيال » فوق حافة المنخفض الاماميه ، وتعطلت تماما عن الحركة

وأوقف جون المحرك وهبط منها ، ولكنه اختلس النظر الى بمبلـز فرآه يحملق فيه مدهوشا ، فأدرك ان الفتى عرف ما كان ينبغى أن يفعـــل جون فى مثـــل الحالة ، عرف أن من البديهيات الا يريد الانسان من سرعة دوران العجلات فى مثل هذه الظروف ، لان السرعة تزيد من غوصها فى الاوحال . .

والواقع أن جون ، وهو مستغرق فى عمله ، كان قد نسى وجـــود بمبلز بالقرب منه ، ولكن حسنا ، انه لن يصدق بطبيعة الحال انه تعمد تعطيل السيارة فى هذه البقعة النائية ، وحتى لو خطر بباله شىء كهذا ، فما هو الدليل ؟

وأسرع فان برانت الى جون وهو يكاد يختنق من الغضب وقال له بصوت كالفحيح وقد أخذ يلوح بقبضة يده فى وجهه :

ــ اذن فقد فعلتها وأوقعت بنا هنا ؟ أنا كنت أعرف أنك ستفعـــل هذا بحق السماء . والآن كيف ساحضر الى المحكمة غدا ؟ كيف

ستخرجنا من هذا المأزق ؟

فأبعد جون يد العجوز عن وجهه ، وقال له آمرا :

ـ كفى صياحا . وعـــد الى مقعدك ، والا فلن تزداد الامور الا ســوءا

وبعد أن دار جون حول السيارة ، عاد الى الركاب وقال لهم :

ـ اننى آسف أيها السادة . وأرى أن عليكم الانتظار هنـــا بعض الوقت ، وأرجو أن تتذكروا بأنكم انتم الذين اخترتم هذا الطريق

فقال فان برانت ؟

ـ اننى لم أوافقهم على اختيار هذا الطريق

فصاح به جون بصوت راعد :

ـ انني لا اريد ان اسمع منك كلمة اخرى والا فقدت عقلى ، لانى على وشك أن افقده فعلا

وأدرك العجوز أن جون كان جادا فى هذه المرة ، لا سيما حـــين رآه يقبض راحتيه بعنف وقد برزت عضلات ساعديه بوضوح

وعاد جون يقول بصوت حاول أن يجعله هادئا :

ـ ان على الان أن أمضى الى أقرب تليفون لاستدعاء سيارة نجدة ، وسوف أطلب أيضا ارسال سيارة مأجورة تحملكم الى سان جـــوان دى لا كروز . ولن يستغرق هذا كله أكثر من ساعتين أو ثلاث

وهنا قال فان برانت بصوت هادىء :

ـ ان اقرب مكان مأهول يقع على مسافة أربعة أميال ، ويوجد على مسافة ميل واحد بيت آل هوكنز ، وهو بيت قـديم مهجور منذ أن استولى بنك أمريكا عليه ، وعلى المزرعة . ومن ثم عليك أن تمضى الى الطريق الزراعى العام ، واقرب منطقة منه تبعد عن هنا أربعة أميـــال

فهز جون كتفيه ، وقال :

ـ اذا لم يكن مندوحة من الذهاب ، فيجب أن أذهب

ثم أردف قائلا ، وهو ينظر الى السماء :

ـ وهاهي ذى الامطار قد أوشكت أن تنقطع تماما

فقال بمبلز وقد أخذته نوبة من المودة والاخلاص :

ـ دعني أذهب بدلا عنك يا مستر شيكو

فضحك جون وقال :

ـ لا ياكيت ، ان هذا يوم اجازتك ، ويجب أن تستمتع بها

ثم أردف قائلا للركاب :

ـ ان في مخزن السيارة صندوقا به مجموعة من الفطائر ، ويمكنكم اذا شعرتم بالجوع أن تأكلوا منها كما تشاءون • وكذلك توجد زجاجة ويسكي ومسدس في الخزانة الامامية . وقد ينفع المســـدس اذا هاجمكم نمر أو شيء من هذا القبيل

وقالت كاميليا :

ـ الواقع أنني أشعر بالجوع

فقال جون وهو يسلم المفاتيح لبمبلز :

ـ احضر لها بعض الفطائر ، ولكن ترفق بنفسك يا ولدى فلا تأكل الكمية كلها • أما انتم أيها السادة فيمكنكم أن تبقوا في السيارة أو تهبطوا منها وتستريحوا في بعض الكهوف هنا • بل يمكنكم أن توقدوا نارا اذا وجدتم بعض الخشب الجاف

واستدار جون وسار بضع خطوات ، ثم عاد والتفت ولوح بيـــده للركاب ، ثم استأنف السير وراح يهبط من التل يمينا حتى وصـــل الى حافة النهر الملتوى ، ثم سار عبر مزرعة قديمة مهجورة كانت رائحة النباتات الجافة والمتعطنة تشيع في جوها

ورأى من بعيد بيت آل هوكنز الخالي المهجور ، فأسرع نحـــــوه بخطوات واسعة ، وهناك وجد البيت متداعيا ، فحطم الابواب والنوافذ ممزق الاوراق التي تكسو الجدران ، مليء باكداس من الغبار والاتربة وبعد أن جاس في غرفاته قليلا مضى الى المخزن القريب منه ، أنه مخزن الحاصلات الزراعية ، وكان أيضا خاليا الا من كومـــــة من التبن في نهايتـــــه

وفيما كان جون يتقدم نحو هذه الكومة ، والجرذان تفر أمامــــه مذعورة في كل مكان ، اذا به يشعر فجأة بالتعب يتســــلل الى كل جسده ، واذا هو يرقد على كومة التبن ثم يقول لنفسه :

ـ انني لم أعد شابا كما كنت • !

وتراخت عضلاته المتوترة ، وأغمض عينيه ، وبدأت أنفاسه تنتظم واطلت الجرذان من جحورها وقد ادركت من انفاسه المنتظمة انه نام!

لحظات عزام

أخذ الركاب يشيعون جون بنظراتهم حتى اختفى تماما ، وعندئذ قال المستر بريكارد :

ـ ترى كم سيستغرق من الوقت حتى يأتى لنا بسيارة أخرى ؟

ففرك فان برانت يديه وهو يعتدل فى جلسته وقال :

ـ لا أقل من ثلاث ساعات

وقالت المسز بريكارد لزوجها في لهجة عتاب :

ـ كل هذا بسبب اصرارك على السفر بواسطة هذه السيارات العجفاء . لقد كان ينبغى أن نركب القطار الفاخر من شيكاغو الى لوس أنجلوس رأسا

ثم أردفت قائلة وكأنما أرادت أن توضح للجميع السر فى سفرها مع زوجها عن هذا الطريق :

ـ ولكنك أردت أن تتخذ هذا الطريق لكى تتفرج على اكبر عدد من الاماكن والاشخاص كما تقول . فهل شبعت الآن فرجة ؟

ـ لا داعى لهذا العتاب الآن يافتاتى الصغيرة !

فردت قائلة فى غضب مفاجىء أدهش ابنتها ميلدرد :

ـ هكذا أنت دائما .. لا تطيق أن يعاتبك أحد على أخطائك . انك انت الذى دبرت أمر هذه الرحلة التى سوف تكلفك أكثر من خمسة آلاف دولار بينما تعرف أنى أكاد أموت شوقا الى بيت نبات زجاجى في الحديقة لانبات زهور الاوركيد

ـ وهكذا انت دائما أيضا ، لا تفكرين الا فى رغباتك ونزواتك ، انك تفضلين بيت نبات زجاجى على أن استمتع بأول اجازة طويلة أنالها منذ سنوات و ...

وهنا تدخلت ميلدرد بين أبويها وهي تكاد تنفجر من فرط الشعور بالعـــار :

ـ كفى يا أبى ، وأنت يا أماه ، هذا لايليق أمام الغرباء ..

فهنف بها والدها قائلا :

ـ لا تتدخلي فيما لا يعنيك يا ميلدرد ، ولعلك لا تعرفين اننى لم أفكر فى هذه الرحلة الا اكراما لك . أما أنا ، فقد كنت أفضـــل أن استمتع باجازتى فى الراحة ولعب الجولف

ونهضت ميلدرد واقفة وقالت لامها بعنف حين رأتها تهم بالحديث فى غضب :

ـ أماه ، كفى شجارا . ماذا دهاك انت وابى ؟ ان هذه أول مرة اسمعكما تتشاجران فيها خارج غرفة النوم . اذا لم تكفا عن هـــذا فسوف أغادر السيارة لاقوم بجولة فى المنطقة

فقالت لها أمها :

ـ اذهبى ، اذهبى كما تريدين ، انك لا تفهمين شيئا

فتناولت ميلدرد معطفها الواقى من المطر وارتدته وقالت :

ـ اننى ذاهبة الى الطريق العام

فقال فان برانت :

ـ انه يبعد أربعة أميال عن هذا المكان

وتناولت المسز بريكارد منديلها المعطر ووضعته على انفها وفمهـا بينما قالت ميلدرد لها :

ـ تمالكى أعصابك يا أماه ، اننى أعرف ماذا ستفعلين بعد قليـل سوف تشكين من ذلك الصداع الرهيب وتعاقبيننا جميعا بآلامـــك وأوجاعك .. صداعك هذا المزعوم !

وكان بمبلز ينظر مدهوشا الى ما يجرى أمامه ، أما المسز بريكارد فقد قالت فى استنكار وهى تحملق بفزع الى ابنتها :

ـ ويحى ! اتعتقدين أننى أدعى الاصابة بذلك الصداع ؟

ـ لقد بدأت أعتقد هذا ، لان نوبات هذا الصداع لا تأتى ، كمـــا لاحظت ، الا فى الاوقات المناسبة .. المناسبة لك !

فصاح المستر بريكارد قائلا :

ـ ميلدرد ، كفى هذا

ــ اننى ذاهبة

ــ وأنا أمنعك ؟ !

ــ لا ، اننى قد بلغت سن الرشد ولا يستطيع أحد أن يتحكم فى تصرفاتى

ثم هبطت من السيارة ، وسارت بخطوات سريعة الى منحدر التل ، ولم تلبث ان اختفت

وصاحت المسز بريكارد قائلة فى جزع :

ــ اليوت ، اسرع وراءها ، لا تدعها تمضى بمفردها ، ربما ..

فربت المستر بريكارد يد زوجته وقال مترفعا :

ــ لا تخافى ، ان ميلدرد تعرف كيف تتصرف كما ينبغى ، ويبدو ان اعصابنا جميعا متوترة الى حد كبير ..

فتأوهت المسز بريكارد وقالت :

ــ أوه ، اليوت ، لو أنى فقط استطيع أن أرقد قليلا . انها تعتقد أننى أزعم الاصابة بالصداع ، اننى على استعداد لان أقتل نفسى اذا كان صداعى مزيفا . أوه اليوت ، ألا من مكان أستطيع أن أرقد فيه قليـــلا

وهنا قال بمبلز :

ــ ان لدينا فى مخزن السيارة مجموعة من المشمعات الكبيرة التى نستخدمها أحيانا فى تغطية البضائع فوق سقف الســـيارة ، ومن الممكن ان تأخذى واحدا منها وتفرشيه فى أحد الكهوف وترقدين عليه فى أمـــان

فقال المستر بريكارد :

ــ هذه فكرة مدهشة

فقالت المسز بريكارد بلهجة احتجاج :

ــ أتريدنى أن أرقد على ارض رطبة قديمة ؟ لا ، لا استطيع

فقال زوجها :

ــ لا يا فتاتى الصغيرة الحبيبة ، لسوف ترقدين على المشـــمع ، وسوف أعد لك سريرا لطيفا صغيرا ، يناسب صـــغيرتى اللطيفة أتعرفين ماذا سأفعل ؟ !

فلما رفعت عينيها اليه متسائلة ، أردف قائلا :

ـ سأطوى معطفك الفراء وأجعله كالوسادة تحت راسك ، ثم أعطيك بمعطفى الكبير الوافى من المطر .. انتظرى لحظة حتى أعد لك هذا الفراش

وقال بمبلز :

ـ لقد طلب المستر شيكو أن أخرج صندوق الفطائر . انها فطائر طازجة وشهية جدا ، وفى مقدور كل منكم أنه يأكل ما يشاء منها ، وأنا شخصيا لاأجد مانعا الآن فى اكل فطيرة كاملة

فقال له المستر بريكارد :

ـ لا بأس ، ولكن هلم نخرج المشمع الآن

وتعاون الاثنان على حمل صندوق الفطائر من مخزن السيارة الخلفى ، وعلى اخراج مشمع كبير . وفى خلال هذا قال أرنست هورتون :

ـ لسوف أمضى وأفحص هذه الكهوف

وهبط من السيارة وتبعه فان برانت ، وكانت المسز بريكارد معتمدة برأسها على مسند المقعد ، وقد أغمضت عينيها وراحت تفكر ـ باستنكار شديد ـ فى هذا الخلاف الذى نشب بينها وبين زوجها أمام الغرباء . ولكنها ، مع هذا ، أحست بشىء من الراحة ، لانها استطاعت أخيرا أن تصارح زوجها برغبتها فى انشاء بيت نبات زجاجى ، كالذى أنشأته صديقتها ايلين ، حيث تستطيع انبات زهور الاوركيد النادرة ، التى راحت تتعلم طريقة انباتها سرا

ولكن الذى يقلقها الآن هو انها تركت هذه الرغبة تفلت من لسانها فى لحظة غضب ، وربما يؤدى هذا الى ان يتأخر تحقيق أملها ستة أشهر

وكانت تسمع وراءها نورما وكاميليا تتبادلان الحديث بصوت خافت وهما تحسبانها نائمة . وكانت نورما تقول لكاميليا :

ـ ان ما يدهشنى منك يا عزيزتى كاميليا هو قدرتك على وقف كل شخص يضايقك عند حده !

ـ ماذا تعنين ؟

ـ اعنى بمبلز مثلا ، لقد رأيت كيف أوقفته عند حده بمجرد أن بدأ يضايقك ، والعجيب فى الامر انك تفعلين هذا ببساطة لا تجرح

كبرياء احد . ثم هناك صاحبنا الآخر . مندوب الشركة ، انك تعاملينه ببراعة وكأنه طفل صغير . انني أتمنى لو أعرف كيف تفعلين هـــذا

وشعرت كاميليا بالسرور ، وأدركت انه من الممتع ان يكون الانسان موضع اعجاب الغير ، حتى لو كان هذا الغير حجر عثرة فى الطريق . وتساءلت فى نفسها : ترى هل اخبرها الآن انني لست ممرضة ، وانما أنا فتاة استعرض جمال جسمي فى حفلات خاصة أمام جمهور من عجائز الرجال ، واننى فى أكثر الاحيان التقط رزقى بطريق ابعد ما يكون عن الشرف ! لا ، لا ، اننى لا أريد أن اصدم هذه الفتـــاة الغريرة وافقد اعجابها الشديد بى

وعادت نورما تقول :

ــ ومما يضاعف اعجابى بك أنك لا تثورين ولا تسببين أو تسخطين، ومع ذلك لا يجرؤ أحد ان يلمسك بأصبعه

فضحكت كاميليا وقالت :

ــ اننى لم الاحظ هذا كله عن نفسى ، ولعله أن يكون جزءا من طبيعتى . الا اننى أعرف صديقة هى أقدر منى فى معاملة الرجال . . انها تستطيع ان تظفر من اى رجل بأى شيء يعجبها . . ولكنها ، فى النهاية تدفع الثمن !

فحملقت نورما بعينيها فى أندهاش وقالت :

ــ ثمن ! اى ثمن ؟

ــ ثمن ما تحصل عليه يا عزيزتى . فليس فى هذا الوجود شيء يعطى بلا مقابل ، ولكن صديقتى هذه يحلو لها ان تتدلل على صاحبها وتغريه وتثيره حتى يبلغ حد الانفجار ثم اذا هى تستسلم له بوداعة

وأحست المسز بريكارد فى تلك اللحظـــة ،لاول مرة فى حياتهـــا ، بدبيب الرغبات الجنسية يسرى فى عروقها ، فزادت من اغماض عينيها وقالت لنفسها :

« يالهما من فتاتين سوقيتين ! لاشك انهما من فصيلة الحيوانات البهيمية ، ترى أهؤلاء هم الاشـــــخاص الذين أراد اليوت أن يتعرف بهم أثناء الرحلة »

وفجأة أخذت تكتب فى ذهنها الخطاب الثالث الى صديقتها ايلين تصف لها ما حدث ، وانها سمعت حديثا من فتاتين سوقيتين لاينبغى

سارت ميلدرد بخطوات سريعة في نفس الطريق الذى سار فيه جون ، ولكنها لم تكن تدرك هذه الحقيقة فى أول الامر ، إذ كانت مشغولة بأفكارها التى كانت تتزاحم فى رأسها فى تلك اللحظة

لقد شعرت مرة أخرى بهذا السأم العميق الذى طالما اثقل عليها بسبب هذه الحياة الرتيبة مع والديها .. لشد ما تهفو الى لون آخر من الحياة ، انها تريد أن تتزوج ، وان ترضى بالزواج هذه العاطفة الحادة المشبوبة التى طالما ألهبت دماءها والتى كثيرا ما جعلتها تشعر بالنفور من نفسها . ولكنها حتى الآن لم تجد الزوج المناسب الذى يرضيها . ثم ها هى ذى الرحلة الى المكسيك ؟ وماذا بعدها ؟ ماذا لو انها الآن سارت حتى وصلت الى الطريق العام ، ومنه تستقل سيارة الى إحدى المدن الصغيرة حيث تختفى فترة من الوقت . ان احدا لن يستطيع ان يرغمها على العودة ، حتى والديها ، لانها تجاوزت الواحدة والعشرين من عمرها ، وقد أصبح لها ،من الوجهة القانونية، حرية التصرف بنفسها فى حدود القوانين والتقاليد والعرف

انها لا تنكر أن أباها كان كريما معها على طريقته . ولكن أباها قد نسى أن فى مقدورها مثلا أن تكتسب رزقها بالعمل ، وأن فى مقدورها أيضا ان تواصل دراستها الجامعية حتى تتخرج . ثم .. ثم ماذا بعد ذلك ؟

وتناولت نظارتها ، ومسحت قطرات ماء المطر عنها بمنديلها ، ثم أعادتها وراحت تنظر الى الارض الموحلة حتى تتجنب الخوض فى احدى الحفر المتناثرة حولها ، وعندئذ لمحت آثار أقدام أمامها ، ولم تلبث ان أدركت ، من طبيعتها ، انها أقدام جون ، سائق السيارة . وهنا تحولت كل أفكارها اليه وهى تحرص على المسير وراء هذه الآثار

ورفعت عينيها الى الافق ، ولمحت البيت المهجور على مسافة قريبة ، ورأت آثار الاقدام تتجه اليه ، فمضت نحوه وقد رفت على شفتيها ابتسامة غامضة

وعندما اقتربت من البيت ، ادركت من اتجاه الآثار أن جون شيكو

لم يخرج من منطقة البيت المهجور ، ومن ثم تساءلت فى نفسها : ماذا يفعل هنا وكان المفروض أنه ماض الى الطريق العام لاستدعاء سيارة نجدة وارسال سيارة مأجورة لنقل الجميع الى سان جوان دى لاكروز !

ومضت ميلدرد تجوس خلال غرفات البيت المهجور ، حتى اذا أيقنت ان جون ليس فى اية حجرة به ، خطر ببالها الذهاب الى مخزن المحصولات ، فلما سارت فى اتجاهه ، لاحظت آثار أقدام جون مطبوعة على الطين فى نفس الاتجاه ، ومضت الى باب المخزن المفتوح وهى تحس بالدماء تجرى فى عروقها ملتهبة ، ثم وقفت عند الباب وراحت ترهف السمع ، وخطر لها ، عندما لم تسمع صوتا ، أن تنادى عليه ، ولكنها آثرت ان تفاجئه ، فسارت ببطء حتى وصلت الى كومة التبن فى نهاية المخزن ، وكانت الجرذان التى ألفت وجود جون ، قد اخذت مرة اخرى تفر مذعورة الى جحورها أمام هذا الوافد الجديد . ورات جون راقدا على ظهره وقد عقد يديه تحت رأسه ، واغمض عينيه ، وبدا من رتابة أنفاسه انه مستغرق فى النوم

وقالت لنفسها :

ــ يمكننى أن أعود أدراجى الى السيارة الآن ، فليس هنا من يبقينى رغما عنى ، واذا بقيت فسوف اكون أنا المسئولة عما يحدث ، وينبغي أن أتذكر هذا جيدا . انه الآن انسان فى حاله ! ولكن ، ما هذا اللغو الفارغ ؟!

ورفعت النظارة عن عينيها ووضعتها فى جيبها ، اذ كان فى مقدورها أن ترى جون بوضوح على هذه المسافة القصيرة ، وتقدمت ببطء وحذر نحو كومة التبن ، ثم ثنت ساقيها تحتها وجلست تحملق النظر اليه ، وتتأمل وجهه الاسمر القوى ، وصدره العريض الذى كانت عضلاته تبدو بوضوح تحت السترة المبللة الملتصقة به ، ثم قالت لنفسها :

ــ يبدو أنه شعر بالتعب ، فرقد هنا ليستريح برهة ، ومن ثم لا ينبغى ان اوقظه

وكرت بذهنها الى ركاب السيارة ــ ماذا لو أنها لم تعد مع جون اليهم ؟ ماذا سيفعلون عندئذ ؟ ان امها ستقع مغشيا عليها ، وان

أباها سيبرق الى حكام الولايات فى هذه المنطقة . وربما لجأ الى ادارة المباحث العامة . ولا شك ان الدنيا ستقوم وتقعد بسبب اختفائها مع سائق سيارة عامة ، ولكن ماذا فى وسعهم جميعا ان يفعلوا ؟ انهم حين يعثرون عليها سوف تقول لهم « ما شأنكم بى ، اننى فى الواحدة والعشرين من عمرى ، ومن حقى أن أتصرف بحياتي كما أشاء » ثم كيف يكون الحال لو أنها صحبته الى المكسيك ؟ .. ان الرحلة عندئذ ستكون خالية تماما من كل أسباب الضيق والسأم !

وعادت ميلدرد تطوف بنظراتها على جسم جون كله ، حتى اذا وقعت عيناها على وجهه . فوجئت به ينظر اليها بهدوء . وقد بدت عيناه متألقتين ، لا اثر للنوم فيهما . أى انه على الارجح لم يكن نائما منذ دخلت المخزن !

ووجدت نفسها تقول وكأنما تشرح له موقفها :

ــ كنت فى حاجة الى ان أتمشى قليلا بعد طول الجلوس فى السيارة. وقد خطر لى فى أول الامر أن أمضى الى الطريق الزراعى العام لالتقى باحدى السيارات الخاصة او العامة ، ولكننى حين لمحت هذا البيت القديم المهجور ، عرجت عليه بدافع من الفضول . وأنا بطبيعتي أحب الاماكن القديمة

ولم يجب جون عليها بشيء ، وانما ظل يجيل نظراته على وجهها ، ثم راح ببطء شديد يستدير قليلا لترقد على جانبه فى مواجهتها وقد اعتمد برأسه على يده

ورأت بريقا خاطفا يومض فى عينيه ، وأحست أنه ليس ثمة مهرب من نطاق نظراته الآسرة التى ذكرتها بما قرأت عن نظرة الافعى للطائر الصغير

وفجأة سألته قائلة :

ــ ماذا تفعل هنا ؟

فانفرجت شفتاه قليلا ثم سألها بدوره :

ــ وأنت ، ماذا تفعلين هنا ؟

ــ لقد قلت لك السبب . كنت فى حاجة الى رياضة المشى . ألم أقل هذا ؟

ــ أجل ، قلت

ـ والآن ، ماذا تفعل أنت هنا ؟

فهز كتفيه وقال فى غير مبالاة :

ـ أنا ؟ أوه ، لقد جلست لاستريح ، ويبدو أن النـوم غلبنى على أمرى ، لاننى لم أنم أمس كما ينبغى

ورأت أن عليها أن تستمر في الحديث اذا أرادت أن تجعل الموقف بينهما طبيعيا :

ـ نعم ، أذكر ٠ ولكننى مندهشة منك ! لانى أرى أنك لست بالرجل الذى يكتفى بقضاء حياته فى هذه المنطقة المنعزلة ، والذى تمر أيامه متشابهة فى قيادة سيارة عامة ذهابا وايابا ، بلا انقطاع ٠ ان مكانك الحقيقى يجب أن يكون فى مجال آخر

فقال باسما ليجاريها :

ـ مثل ماذا ؟

فقالت فى شىء من الاضطراب :

ـ أتعرف أن فكرة طريفة طرأت على ذهنى وأنا اسير إلى هنا ؟ لقد ظننت أنك تركت السيارة وانطلقت الى حياة أخرى جديدة ، فى ٠٠ فى بلاد أخرى مثل المكسيك

فرمقها بنظرة طويلة حادة وقال :

ـ هل فقدت الصواب ؟ ما الذى جعلك تفكرين فى شىء كهذا ؟

ـ هذا ما خطر لى فقط حين شعرت أن حياتك هنا لابد وأن تكون مليئة بالضجر والركود بعد أن عشت جزءا منها فى بلاد المكسيك

ـ هل عشت فى المكسيك من قبل ؟

ـ لا

ـ اذن فانت لاتعرفين مدى ما فى الحياة هناك من سأم وركود

ـ أحقا ؟ !

ورفع رأسه قليلا ثم قال :

ـ ما رأيك فيما قد يحدث للذين تركناهم فى السيارة ؟

ـ أوه ، انهم سيدبرون أمورهم بطريقة ما ٠ والطـريق الزراعى العام ليس بعيدا عنهم ، وهم على الاقل لن يموتوا جوعا

ـ وما رأيك فيما قد يحدث لزوجتى ؟

فقالت فى ارتباك :

ـ أوه ، لقد فاتنى التفكير فى أمرها

ـ لا بل فكرت فى أمرها • انك لاتحبينها ، وسأقول بصراحة ،أنه لايوجد من يحبها غيرى

ثم ابتسم وقال :

ـ ومن الاسباب التى تجعلنى أحبها أنه لايوجد احد يحبها أبدا

ثم قال لنفسه « يالك من كذاب كبير ! »

وقالت ميلدرد :

ـ لقد كانت مجرد خاطرة حمقاء ! بل لقد فكرت أيضا فى أنأهرب أنا أيضا من حياتى • فكرت فى الاختفاء والحياة بمفردى وعدم رؤية أى شخص من الذين سبق أن عرفتهم

ثم نهضت قليلا وظلت معتمدة بجسمها على ركبتيها حتى جلست على الجانب الآخر ، ونظر جون الى ركبتيها العاريه ، ثم مد يدهوجذب طرف الثوب عليها • وجفلت هى عندما رأت يده تمتد ، ثم لم تلبث أن هدأت وتراخت أعصابها

وقالت له :

ـ اننى لا أريد منك أن تظن اننى تبعتك الى هنا

ـ انك لاتريدين أن أظن هذا ، ولكنك فى قرارة نفسك تريدين

ـ حسنا ! وماذا لو أنى أريد ؟

فمد يده مرة أخرى وأراحها على ركبتها، وجعل الدماء الحارةتشتعل فى وجهها ، ثم اذا هى تقول وقد جف ريقها :

ـ لاتظن أن الامر يهمك أنت ، وانما يهمنى أنا • بل اننىلا أحبك، فان لك رائحة كرائحة الخراف !

وتهدج صوتها قليلا وهى تستطرد قائلة :

ـ انك لاتعرف نوع الحياة التى أحياها ! اننى أعيش فى عزلة ، اننى لا أستطيع أن اقول لاحد ، أيا كان ، أى شىء

وأردفت قائلة وهى تشعر أنها غارقة فى محيط نظراته المتوهجة :

ـ وأنا ربما لا أكون كغيرى من الناس • فمن أين لى أن أعلم ؟ولكن لست أنت الذى اريد ، بل اننى لا أشعر بأى حب لك

فقال جون بهدوء :

ـ اسمعى • انك تعذبين نفسك كثيرا بهذا الجــــدل الاجوف ..

أليس كذلك ؟

فسألته قائلة على حين غرة :

ـ ماذا تنوى أن تفعل لاولئك الذين تركناهم فى السيارة ، ألن تستدعى لهم سيارة انقاذ ؟

فضغط على ركبتها بيده برهة ، ثم رفعها وقال :

ـ لسوف أعود الى السيارة وأخرجها من الحفرة

ـ اذن لماذا جئت الى هذا المكان ؟

ـ هذه مشيئة القدر • فلو لم يكن هذا المخزن قائما هنا ، لكنت الآن في طريقي الى مدينة سان دييجو على الحدود

ـ ومتى ستعود السيارة ؟

ـ في أقرب وقت

ونظرت الى يده المعتمد بها على أرضية المخزن ، ثم قالت له :

ـ ألن تنوى أن تراودنى عن نفسى ؟

فاتسعت الابتسامة على شفتيه ، وازداد البريق توهجا في عينيه، ثم قال :

ـ نعم ، أظن هذا ، ولكن بعد أن تفرغى من هذا الجدل الاجوف الذى تديرينه معنفسك • وأنت الآن في مفترق الطرق ، ويمكنك أن تقررى أى طريق تختارين ، وسوف أكون تحت أمرك فى الطريق الذى يقع عليه اختيارك

ـ ألا •• ألا تشتهينى ؟

ـ اننى اشتهيك بكل تأكيد

ـ اذن فأنت لاتريد أن تتعب نفسك في مراودتى عن نفسى لانك واثق بأنى سأقع بين ذراعيك فى النهاية بلا أى مجهود !

ـ أوه ، أرجو ألا تحشرينى فى جدلك مع نفسك • انتى أكبر منك سنا ، وأنا أشتهيك تماما وأتمنى أن تكونى بين ذراعى حالا • ولكننى تعودت بطبعى على الصبر . ولاسيما فى هذه الامور ، لانه كلما طال الصبر عليها ازدادت حلاوة

فلوت شفتيها وقالت :

ـ كان يجب أن اكرهك جدا ، لانك تحرمنى من كل كبرياء ، انك لا تتيح لى الفرصة لكى أشعر بأنى قاومتك ، ولو قليلا ، على الاقل

ـ لقد ظننت أنى احترم كبرياءك عندما تركت لك حريةالاختيار

ـ هذا تفكير عقيم

ـ عجبا ! ان النساء فى بلادى هكذا أيضا • لايستسلمن الا بعد الرجاء أو المقاومة

ـ وهل آنت هكذا دائما مع جميع النساء ؟

فهز كتفيه وقال :

ـ لا • وانما معك الآن فقط • لقد قلت انك جئت الى هنا لسىء آخر وانك لاتحبيننى ولاتريديننى

فنظرت الى أصابع يديها وقالت فى اندهاش :

ـ ما أعجب هذا ؟ اننى فتاة من اللاتى يقال عنهن مثقفات ،عصريات، مطالبات بالمساواة مع الرجال . وقد قرأت كثيرا ، وأنا لست عذراء ، كمعظم الفتيات فى هذه البلاد ، ومع ذلك فلا أستطيع ان أكون البادئة فى الغزل معك

ثم ابتسمت وقالت بسرعة :

ـ ألا تستطيع أن تجعلنى أقاوم ولو قليلا ؟

فمد ذراعيه ، وألقت بنفسها بينهما وهى تقول :

ـ هل ستحتقرنى فيما بعد أم ستسخر منى ؟

فهز كتفيه وقال :

ـ وماذا يهمك ؟ !

فتمتمت قائلة :

ـ ان هذا الامر يهمنى جدا ، لانى لا أحب أن أكون موضع سخرية أو احتقار من أسلمه نفسى بهذه السهولة

ـ آوه •• انك تتحدثين اكثر مما ينبغى

ـ هل . . هل سنهرب معا . . ربما إلى المكسيك ؟

ـ لا • والآن ، دعينى اذق طعم شفتيك



الفصل الثالث عشر

الثوب الممزق

بعد أن أخرج بمبلز والمستر بريكارد صندوق الفطائر وأحد الشمعات من المخزن ، أراد الشاب أن يبدأ أولا عملية الاكل ، ولكن بريكارد قال له :

ــ يجب أولا ان أعد المكان المناسب لكى تستريح زوجتى

وحملا معا المشمع الى أحد الكهوف . وبعد أن اطمأن الى نظافة المكان ، رأى فان برانت وأرنست هورتون يدخلانه ، فقال لهما معتذرا :

ــ لسوف ترقد هنا زوجتى لتستريح ، واعتقد أن الكهفين الآخرين لايقلان عن هذا اتساعا ونظافة

فابتسم ارنست وقال :

ــ ان الانسان يستطيع أن يعيش هنا أسابيع اذا وجد ما يأكل

فقال فان برانت :

ــ عش انت هنا ما تشاء ، أما أنا ، فسوف أسير الى الطريق العام في الصباح الباكر اذا لم يعد ذلك السائق اللعين في الوقت المناسب. ان لدى أعمالا هامة يجب أن انجزها غدا

وقال بمبلز :

ــ مارأيكم أيها السادة فى فطيرتين نقتسمهما فيما بيننا ؟

فقال ارنست هورتون :

ــ هذه فكرة سليمة جدا

ــ أى نوع تحب ؟

ــ فطيرة من النوع المحشو بالمربى اذا أمكن

ــ حسنا جدا

وعاد المستر بريكارد الى السيارة حيث وجد زوجته لاتزال مغمضة عينيها ، فقال لها :

ــ لقد أعددت لك مرقدا طيبا أرجو أن تستريحي فيه

ففتحت عينيها وتلفتت حولها في شيء من الدهشة ، فقال لها :

ــ هل كنت نائمة ! انني آسف • ما كان ينبغي أن أزعجك

ــ لا لا يا عزيزي ، انني بخير

وساعدها على الهبوط من السيارة في رفق جعلها تقول معتذرة :

ــ انني آسفة ياعزيزي على مابدر مني !

ــ لا عليك يافتاتي الصغيرة ،لقد كنت فقط متعبة متوترةالاعصاب• وأنا أعرف أنك لم تكوني تعنين كلمة واحدة مما قلت

وعندما سار معها نحو الكهف ، قال :

ــ لسوف اقدم لك عشاء فاخرا مع الشمبانيا في مطعم رومانوف الفاخر بهوليوود

وراحت كلمات الرسالة الرابعة التي ستكتبها لصديقتها ايلين تتزاحم في ذهنها : « وفي هوليوود ، دعاني اليوت الى عشاء فاخر في مطعم رومانوف الذي يتردد عليه أشهر نجوم السينما •• فهل تعلمين من كانت على المائدة المجاورة ، انها الكوكب •• »

وفي داخل الكهف ، تلفتت المسز بريكارد حولها بعد أن اعتادت عيناها على الظلام ، ثم قالت قبل ان ترقد على الفراش الذي أعده لها زوجها :

ــ هل انت واثق بأنه لاتوجد فيه أفاع أو عناكب ؟ !

ــ لا لا يا عزيزتي ، لقد تأكدت من هذا ، اطمئني • والانارقدي وسوف اضع عليك معطفي الكبير

ولما اطاعته ، قال :

ــ والان كيف حال فتاتي الصغيرة ؟

ــ على خير ما يرام

ــ سأتركك الان لتستريحي ، ولن يزعجك احد بالدخول لاني لمحت للاخرين بأن هناك كهوفا اخرى يمكنهم الاستراحة فيها اذا شاءوا • واذا اردت شيئا فيمكنك أن تنادي علي • هل اتي لك بقطعة فطير ؟

ـ لا ، ليس الان ، شكرا

وغادر المستر بريكارد الكهف حيث رأى ارنستهورتون جالسا في الجانب الاخر من التل ، الجانب المطل على الوادى ، وكان مدخل الكهفالثالث فوق رأسهمباشرة ، وفيما كان المستر بريكارد يقترب منه ، تناول ارنست جانبا من الصحف التى كان يفترشها تحته ، وأعدها لجلوس بريكارد بجانبه وهو يقول له باسما :

ـ ان هذه الصحف مفيده جدا ، يمكنك أن تفعل بها كل شيء الا أن تقرأها

وضحك المستر بريكارد ، وجلس بجانب هورتون ، وراحيتبادل معه الحديث الذى لم يستمر غير لحظات معدودة نهض بعدها هورتون لينصرف الى مكان آخر ، وهنا قال له بريكارد :

ـ يبدو انك متوتر الاعصاب يا مستر هورتون

فارسل ارنست ضحكة جافة وقال :

ـ ومن منا هادىء الاعصاب ؟ اننا جميعا يا سيدى فى حالة عصبية سيئة رغم محاولاتنا لكى نبدو هادئين طبيعيين فى تصرفاتنا

وراح بريكارد يشيع الشاب بنظراته وهو يقول لنفسه فى أسف :

ـ يبدو أن الحرب تركت طابعها علىأعصاب هذا الشابالموهوب

ثم وجد نفسه يفكر فجأة فى الشقراء الفاتنة كاميليا : انه موقن بانه سبق أن رآها من قبل . ولكن أين ؟ لو أنه فقط استطاع أن ينفرد بها لحظات ، اذن لعرف أين ومتى رآها من قبل . وأكثر من هذا انه واثق بانه لم يرها فقط ، بل يذكر أن رؤيته لها قد أشعلت النار فى دمائه ، ولكن متى .. وأين ؟

ونظر الى السيارة المعطلة حيث لا يزال بها الفتاتان وبمبلز ، وأخيرا نهض ، وسار نحوها تحت مطر كان يتساقط رذاذا خفيفا جدا ، وكانت السماء قد أوشكت أن تصفو تماما ، وأشعة الشمس قد اخذتتتسلل من وراء ندف السحابالمتخلفة ، وصعد الى السيارة حيث رأى فان برانت راقدا على المقعد الخلفى الممتد بعرض السيارة كلها ، وكان يبدو عليه انه مستغرق فى النوم . وكان بمبلز والفتاتان يتحادثون فى خفوت حتى لا يزعجوه

وقال بمبلز عندما دخل بريكارد :

ـ ان ما اريده من الزوجة هو الاخلاص

فسألته كاميليا قائلة :

ـ ماذا عنك ؟ هل ستكون انت مخلصا أيضا ؟

ـ بالتأكيد ، اذا كانت من النوع الذى يعجبنى ، فسوف اكون مخلصا لها طبعا

ـ واذا لم تكن ؟!

ـ اه ، عندئذ أجعلها تندم وتدرك أن الخيانة لعبة يمكن ان يؤديها اثنان ، كما فعل كارى جرانت في ذلك الفيلم ..

وكان ثمة صحن حلوى من الورق المقوى موضوعا بجانب بمبلز ، ولم يبق فيه غير ربع فطيرة ، وكان الغلام جالسا على مقعد امام الفتاتين ومستديرا اليهما بجذعه الاعلى ، ومستندا بمرفقه على مسند المقعد

ونظر الجميع فى وقت واحد الى المستر بريكارد حين قال فجاة :

ـ هل تسمحون لى بالجلوس معكم ؟

فقال بمبلز :

ـ أوه ، بالتأكيد ، تفضل بالجلوس . ما رأيك فى هذه القطعة الممتازة من الفطير ؟

وبعد أن قدم اليه ما تبقى من الفطيرة ، قالت كاميليا لبمبلز :

ـ وهل عثرت على فتاة احلامك الآن ؟

ـ نعم ، تقريبا ، ولكنها .. ولكنها غبية بعض الشىء

ـ وهل هى مخلصة لك ؟

ـ بكل تأكيد

ـ كيف تعرف ؟

ـ أوه ، اننى لم .. أعنى ، اننى متأكد ، وهذا يكفى

فقال بريكارد مجاريا له فى الحديث :

ـ اعتقد أنك ستتزوج فى وقت قريب ، وستستقل بعمل خاص

ـ لا ، ليس الآن اننى أدرس بالمراسلة هندسة الرادار . وأعتقد ان النجاح فى هذا النوع من الهندسة مضمون . أن واحدا من الذين درسوها ينال الان خمسة وسبعين دولارا فى الاسبوع

ـ احقا ؟

وقالت كاميليا :

ـ وما هو الوقت الذى تعتقد أنه مناسب لزواجك ؟

ـ انه ليس قريبا على كل حال ، فان على الواحد منا أن يرى بعض الشيء من هذا العالم قبل أن يستقر . يجب أن يكتسب بعض التجارب . وربما اشتغلت فى احدى السفن مهندسا للراديو والرادار

وسأله المستر بريكارد قائلا :

ـ ومتى ستفرغ من هذه الدراسة ؟

ـ أوه ، لسوف أبدؤها قريبا . لقد أعددت كل شيء ، وملأت الاستمارة ، وادخرت قيمة القسط الاول ، ونجحت فى الاختبار لقد قالوا لى اننى موهوب ...

وكانت عينا كاميليا تنمان عن التعب والملل ، وكان بريكارد يختلس النظر اليها من وراء نظارته وهو مطمئن الى أنها لن تفطن اليه . وبعد أن تأمل وجهها الجذاب وصدرها النافر ، احس كأنها نوع من العطر المثير الذى يفعم النفس بالانفعال واللهفة والشعور بالجوع الى الانثى . ورأى أن من النادر أن يلتقى انسان بفتاة من هذا النوع الذى يجمع بين الجمال الباهر ، والجاذبية المثيرة ، والوداعة الاسرة

وفجأة سمع نفسه يقول وهو لا يكاد يشعر انه بدأ الحديث :

ـ مس اوكس ، لقد كنت افكر ، أعنى انه خطر لى أنك قد تريدين أن تسمعى عن فكرة عملية ربما تفيدك . اننى مدير مؤسسة كبيرة ، وأعتقد أن صاحبتك لن تجد مانعا فى أن أتحدث معك على انفراد بضع لحظات بشأن هذه الفكرة العملية . فهل تسمحين بالجلوس معى ، هناك على حافة التل ؟ أن هناك بعض الصحف التى يمكننا الجلوس عليها

وكان بريكارد مندهشا من حديثه هذا ، أما كاميليا فقد قالت لنفسها « أخيرا استسلم المسكين لنزواته ؟ »

وهبط المستر بريكارد من السيارة أولا ، وراح فى شهامة يساعد كاميليا على النزول ، وسار معها الى الصحف التى كان هورتون قد بسطها على حافة التل

وبعد ان جلست كاميليا وهى حريصة الا يبين من ساقيها شيء، جلس بريكارد بجانبهـا ، وتنـاول نظـارته وراح يمسحها ببطء ، ثم قال :

ـ اننى كنت افكر . . . اعنى أن رجلا فى مثل مركزى يجب أن يكون بعيد النظر ، وان يقدر لكل شيء موضعه مقدما

وقالت كاميليا لنفسها فى ضجر « أرجو أن يفرغ من هذا اللف والدوران بسرعة ، لان الارض من تحتى صلبة متعبة »

واستطرد المستر بريكارد يقول :

ـ والمعروف الان أن أهم ما تحتاج اليه المؤسسات الناجحـة ، هى الطاقة البشرية الجيدة · ان فى مقدورنا الحصول على الصلب الجيد ، وعلى المطاط الممتاز فى أى وقت ، ولكن العقول ، والمواهب، والطموح . . انها طاقات من العسير الحصول عليهـا فى أى وقت أو حسب الطلب

فقالت كاميليا فى ضجر :

ـ اسمع يا أخينا ·· اننى متعبة جدا

ـ اننى اعرف يا عزيزتى ، ولسوف أصل الى جوهر الموضوع حالا . اننى أريد أن تعملى فى شركتنا ، هذا كل ما أريده منك ببساطة

ـ اى عمل ؟

ـ مضيفة مثلا فى أول الامر ، ويمكنك بعد ذلك ان ترتقى حتى تصبحى يوما ما سكرتيرتى الخاصة

وازداد شعور كاميليا بالضيق ، ثم القت نظرة على مدخل الكهف الذى ترقد فيه المسز بريكارد ، ثم قالت فى شيء من التهكم :

ـ وما راى زوجتك فى هذا الاقتراح ؟

ـ عجبا ، وما شأنها هى بهذا ؟ انها لا تدير اعمالى ؟

ـ اسمع يا اخينا ! اننى متعبة جدا كما سبق ان قلت لك . وما كان يتحتم عليك أن تمهد بكل هذا الحديث الطويل لما تريد . اننى فتاة اتمنى الزواج ، واقسم انى ساكون من احسن واخلص الزوجات . ان كل ما أريده فى الحياة ان استقر ، وان اعفى نفسى من الشعور بالقلق الدائم ، والجرى المتواصل وراء لقمة العيش . بل اننى فى سبيل الاستقرار أرضى بالحياة مع رجل . . ولو كان متزوجا !

فقال بريكارد :

ـ اننى لا افهم ماذا تعنين ؟

ـ بل انك تفهم تماما . وانك ستشعر بالنفور منى لانى لا احاور وأداور فى الحديث مثلك . انك تريد أن يستغرق الامر بيننا شهورا؟ وربما سنوات حتى اظل ارتقى الى أن أغدو سكرتيرة خاصة لك ، او أصبح عشيقة لك . فلماذا كل هذه المحاورة والمداورة ؟ اننى فى حالة افلاس تام الآن ، وليس من طبيعتى الانتظار شهورا من أجل شيء يمكن الحصول عليه فى أيام . وهناك امر آخر مهم ، انك تقول أن زوجتك لا تدير اعمالك ، ولكنك مخطىء فى هذا القول . ان زوجتك تدير كل شيء فى حياتك ، بل انها تفكر لك ، ومن المحتمل انها هى التى تختار لك سكرتيراتك ، لانها سـيدة قوية الارادة حادة الذكاء . واننى آسفة ، لقد كنت اريد ان اكون لطيفة معك ، ولكننى اشعر بالارهاق والتعب الشديد

ـ اننى لا اعرف ماذا تعنين بحديثك هذا يا مس اوكس ؟

ـ بل انك تعرف ، اتريد الدليل على ان زوجتك هى التى تتحكم فى كل شيء فى حياتك ؟ من الذى اشترى لك ربطة العنق هذه ، اليست هى ؟

فارتبك المستر بريكارد وغص بريقه ، ثم قال متلعثما :

ـ نعم ، نعم ، ولكن ..

ـ انتظر ! انها ستعرف كل شيء عنى وعنك فى لحظة . نعم . وارجوك ان تدعنى اتحدث معك بصراحة . انك تأبى أن تطلب من الفتاة التى تشتهيها ماتريد مباشرة ، وانما تفضل أن تحاور معها وتداور ، وان تغريها بالعمل ، وتنتظر . ولكن الطـريقة العملية يا اخينا هى انك اما ان تقع فى غرامى فتطلق زوجتك وتتزوجنى ، او تستأجر لى مسكنا ، وتجرى على مرتبا شهريا ومعاشا مضمونا فيما بعد ، وليس هناك وضع ثالث لامر كهذا . لقد تجاوزت السن التى يمكن أن يخدعنى فيها امثالك !

فرفع بريكارد رأسه وقال بشموخ :

ـ اسمعى ، أن زوجتى لا تدير أعمالى ، من أين جئت بهـذه الفكرة ؟

ـ أوه ، دعك من المراوغة ! انني أرضى أن أدخل جحر مجموعة من الافاعي السامة لاواجهها عزلاء ، ولا أرضى أن أعيش مع زوجتك ثلاثة أيام ، لان الافاعي السامة ستكون أرحم منها اذا هي كرهتني

ـ انني مندهش لموقفك هذا . فانا لم افكر في شيء من كل هذا ، وانما كنت أحاول فقط ان اعرض عليك عملا ، فاما ان تقبلي او ترفضي

ـ أوه ، اذا كنت تستطيع ان تخدع نفسك وتصدق هذا ، فالله سيكون في عون الفتاة التي تقع بين يديك ، انها لن تعرف ابدا حقيقة موقفك منها

فابتسم بريكارد وقال :

ـ انك متعبة الآن . وعندما تستريحين فربما استطعنا أن نستأنف الحديث في هذا الموضوع بهدوء

وتنهدت في ارتياح عندما لاحظت ان البرود يشيع في صوته . لقد اطمأنت من ناحيته أخيرا ، وعرفت كيف تسكب على عواطفه ماء باردا . وانها غير نادمة ، لان رجلا كهذا كفيل بأن يخرجها عن طورها من فرط القلق والسأم

وكان المستر بريكاد في تلك اللحظة يرى وجهها في صورة اخرى .. كان يرى امارات القسوة والسخط والتحدي واضحة عليه ، وكان يشعر من نظراتها المتهكمة الساخرة انه يجلس أمامها عاريا تماما ، وضاعت كل محاولاته لكي يستر نفسه . وكان في نفس الوقت يعجب من طريقتها العجيبة هذه في الحديث ، وفي قولها « يا أخينا » بين الحين والاخر ، وما كان ليخطر بباله انها فتاة سوقية الى هذا الحد ومن ثم قال لها بشيء من الجفاف :

ـ الامر ببساطة أني عرضت عليك عملا ، واذا كنت لا تقبلينه فهذا شأنك ، ولكن ليس هناك ما يدعو ابدا لهذه السوقية في الحديث . كان ينبغي أن تتصرفي وأن تتحدثي كسيدة مهذبة

فقالت بصوت لا يخلو من حدة ايضا :

ـ اسمع يا أخينا ، انني أستطيع ان احدثك بنفس اللهجة المتعالية التي تحدثني بها ، ثم ماذا تعني من عبارة سيدة مهذبة ؟ اكنت أيها السيد المهذب تستطيع أن تراود سيدة مهذبة بهذه

الطريقة من المحاورة والمدورة ؟ اسمع ، لسوف أقول لك شيئا . انك تظن انك رأيتني من قبل . فاذا كنت عضوا في نادى « بيروز » أو « الورلد » أو « التوفنيتي » أو « النرى توزاند» أو « الاكتاجون »..

ـ انني عضو في نادي الاكتاجون

ـ حسنا ، هل تذكر الفتاة التي جلست عارية تماما في احدى حفلاتكم الترفيهية ، داخل كأس بللورية كبيرة كانت تدور امام عيونكم العجوزة المحملقة ؟ لقد كنت اعجب منكم أيها العجائز المراهقون ، واتساءل : ماذا تستفيدون من هذا ؟ ولكنني لم اهتم بأن اعرف الاجابة ، ولكن الذى كنت أعرفه ان عملية الاستعراض هذه كانت محنة بالنسبة لي ..

وتهدج صوتها ، ثم اذا هي تنهض فجأة وتردف قائلة :

ـ انني ذاهبة لاتمشي قليلا يا دون جوان . ولكنني ارجوك ان تبتعد عني ولا تثير المتاعب لي ، فانا اعرفك ، وأعرف زوجتك ، وأعرف ابنتك ، وأراهن انها الان في البيت المهجور بين ذراعي السائق جون !

وفتح بريكارد فمه ليقول شيئا ، ولكنه رآها تنصرف بسرعة ، فراح يرقب اهتزازات جسمها وهي تسير ، ويتأمل استدارة ساقيها ، ويخلع بذهنه كل اثوابها ، ويجعلها تقف عارية تماما بجانب كأس بللورية كبيرة ثم يراها وهي تدخل فيها ببطء ، واذا هو يحس بما يشبه أطراف الابر تلسع رقبته ، واذا هو ينهض ويلقى نظرة طويلة في اتجاه البيت المهجور ، ثم يتقدم بخطوات سريعة نحو الكهف الذى ترقد فيه زوجته ، ثم اذا هو يندس تحت الغطاء بجانبها

وفتحت زوجته عينيها وابتسمت له ثم اذا هي تهمس فجأة في اندهاش :

ـ اليوت ؟ ما الذى دهاك ، ما هذا الذى تفعله ؟

فهمس لاهثا :

ـ لا تلفظي بكلمة ، حذار أن تلفظي بحرف واحد . ألست زوجتي ؟ أليس للرجل أى حق في زوجته ؟انني لن أقبل بعد اليوم أن

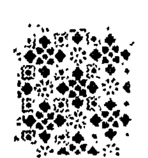
اعامل كالكلب الذليل

فهتمت قائلة فى فزع :

ـ انك مجنون يا اليوت · ربما يرانا أحد ، أوه ، ماذا دهاك ؟ انك تمزق ثوبى

ـ أنا الذى دفعت ثمنه ، وأنا الذى سأشترى لك غيره .

والان ، كفى حديثا



الفصل الرابع عشر

حرارة المراهقة

قالت ميلدرد لجون وهما يغادران المخزن :

ـ انظر ، لقد انقطع المطر ، وصفت السماء ، وأراحت الشمس أشعتها على الجبال ؛ فما أجمل منظر الطبيعة ، وماأعذب الحياة !

وابتسم جون ولم يجب ، بينما قالت هى :

ـ اتعرف أننى أشعر بابتهاج عجيب .. عجيب ؟

ـ بالتأكيد

ـ الا يخامرك مثل هذا الشعور ؟ حسنا ، أرجو أن تمسك لى المرآة حتى أعيد تصفيف شعرى وتجميل وجهى

وبعد أن مشطت شعرها ووضعت بعض فنون التجميل على وجهها ، قالت :

ما رأيك فى يا جون ؟

ـ رائعة ! اننى معجب بك

ـ فقط ؟

ـ أتريدين ان اكذب ؟

ـ أعتقد أن قليلا من الكذب فى هذه الحالة لا بأس به . الن تأخذنى الى المكسيك ؟

ـ لا

ـ هذه هى النهاية اذن . ألن يكون هناك مزيد ؟

ـ من يدرى !

فأعادت المشط وأدوات التجميل فى حقيبة يدها ، وازالت عن كتف جون بعض القش العالق به ، ثم قالت :

ـ هل تصدق أن أبى وأمى لا يعرفان شيئا من هذا ، وانى أعيش

بينهما كالغريبة ، فلا أستطيع أن أسأل أمي عن سر هذه الرغبات الحارة التي كانت تزلزل كياني منذ ان بلغت سن الخامسة عشرة ؟

وقطعت فجأة هذا الحديث وقالت :

ـ اذا لم نذهب الى المكسيك ، فماذا سنفعل ؟

فقال جون وهو يستدير في اتجاه السيارة :

ـ سنعود الى اصحابنا حيث أخرج السيارة من الحفرة واقودها بكم الى مدينة سان جوان دي لاكروز

ـ هل أتناول يدك في يدي قليلا ؟

فأعطاها يده ، واخذت تضغط عليها بيدها ، ثم قالت :

ـ الا تقول لي شيئا مقابل .. مقابل

فنظر اليها ضاحكا وقال :

ـ ماذا تريدين ؟

ـ لماذا جئت الى هذا المكان ؟ هل كنت واثقا بأني سأتبعك اليه ؟

ـ هل تريدين الحقيقة أم ... قليلا من الكذب ؟

ـ الواقع اني أريد كليهما ... ولكن لنبدأ بالحقيقة أولا

ـ الحقيقة انني كنت في طريقي الى الهرب . كنت أنوي الرحيل الى المكسيك حيث أختفي تاركا الركاب يدبرون أمورهم بأنفسهم

ـ أوه ، ولماذا لم تفعل ؟

ـ لا ادري ! لقد فشل التدبير لسبب لا أدريه ، وخذلتني عذراء جواديلوب وكنت قد ظننت أني خدعتها ، ويبدو أنهـــا لا تحب أن يخدعها أحد ، ولهذا أنقذتني حرارة الرغبة في مواصلة الهرب

ـ انك لا تعتقد حقا ان هذا هو السبب ، وأنا لا أعتقد أيضـــا انه هو ، فما هو السبب الحقيقي ؟

ـ السبب في ماذا ؟

ـ السبب في ذهابك الى ذلك البيت المهجور

فسار جون في طريقه وقد ارتسمت على وجهه الاسمر ابتســـامة عريضة واخيرا نظر اليها بعينين كلهما الدفء ثم قال :

ـ لقد جئت الى ذلك البيت المهجور وانا ارجو في أعماق نفسي أن تنصرفي عن السيارة لتتجولي في المنطقة قليلا ، ثم ترين البيت من بعيد فتاتين، وعندئذ استطيع أن .. أن ، وانت تعرفين الباقي

فلفت ذراعها حول ذراعه ، ومسحت خدها بقوة فى كم سترته ، ثم تمتمت قائلة :

ـ لشد ما اتمنى لو استطعنا ان نعيش فى ذلك المخزن بضعة ايام ! ولكن هذا كما نعرف مستحيل ـ وداعا يا جون

ـ وداعا يا ميلدرد

وسارا معا فى صمت نحو السيارة

كان فان برانت راقدا على المقعد الخلفى الممتد بعرض السيارة ، وكانت عيناه مغمضين بلا نوم . وكان يعتمد براسه على ذراعه اليمنى مما جعل ثقل الرأس يضعف حركة مرور الدم الى يده اليمنى

ولما غادر المستربريكارد السيارة مع كاميليا ، بقى بمبلز ونورما بمفردهما صامتين الى حين

وراح فان برانت ينصت الى دبيب الشيخوخة فى عروقه ، بل انه يكاد يحس بحفيف سريان الدماء فى عروقه الخريفية الجافة ، ويكاد يسمع هذه الغمغمة المتكسرة التى تصاحب نبضات قلبه . وشعر أن يده اليمنى سوف تتخدر ، ولكن يده اليسرى هى التى كانت تثير القلق فى نفسه ، ان بشرة هذه اليد لم تعد حساسة ، وانما غدت كالمطاط السميك . وانه كثيرا ما كان يدلكها كلما انفرد بنفسه ، ولكن على غير جدوى ، ورغم انه كان يعرف دلالة هذه الحقيقة ، الا أنه اصر على التجاهل

وانتقل بمبلز الى المقعد الذى تجلس عليه نورما ، فجمعت هذه اطراف ثوبها بلباقة وافسحت له مكانا ، وتزحزحت قليلا نحو النافذة

وقال بمبلز وهو يغمز بعينه :

ـ ترى ماذا يريد ذلك الرجل العجوز من كاميليا !

ـ اننى لا ادرى ، ولكننى أؤكد لك انها ستعرف كيف توقفه عند حده اذا أراد أن يعبث بها . انها فتاة رائعة

ـ أوه ، اننى لا اجزم ، لان هناك فتيات رائعات غيرها

فثارت نورما وقالت بلهجة احتجاج :

ـ مثل من ؟

ـ مثلك

ولم تكن تتوقع هذه الاجابة ، فاحنت راسها وقد اضطرم وجهها بعنف ، وراحت تتأمل أطراف أصابعها وتحاول ان تتمالك نفسها

وعاد بمبلز يقول :

ـ لماذا تركت العمل مع المستر والمسز شيكو ؟

ـ لان المسز شيكو لم تكن لطيفة معى

ـ انني أعرف هذا ، لانها لا تتلطف مع احد اطلاقا . ولكنني كنت أتمنى أن تبقى ، اذ ربما توطدت العلاقات بيني وبينك يوما

ولم تجب نورما ، وعاد بمبلز يقول :

ـ استطيع اذا شئت أن آتى لك بفطيرة محشوة بمـ بى العتب ، فما رايك ؟

ـ لا لا شكرا ٠ اننى لا أستطيع أن آكل شيئا

ـ لماذا ؟ هل تشعرين بمرض ما ؟

ـ لا

ـ حسنا ٠ اذا رأيت أن تعودى للعمل فى استراحة ريبلز كورنر ، فربما أمكننا ان نذهب معا الى سان سيدرو فى مساء السبت من كل اسبوع للرقص ومشاهدة الافلام السينمائية وما الى هذا

ـ انك لم تفكر فى هذا من قبل !

ـ لانى لم اكن اعرف انك .. أنك تميلين الى

وأحست بشيء من النشوة والتحفز يسرى فى عروقها ورأت ان هذا « محاورة » لطيفة لا بأس من التمادى فيها ، ومن ثم ٠ قالت :

ـ حسنا ، وما الذى جعلك تظن اننى ٠٠ أميل اليك الآن ؟

ـ لانك اصبحت مختلفة عماكنت ـ حدث تغييركبير فىمظهرك. اننى معجب بالطريقة الجميلة التى تصففين بها شعرك

ـ أوه شكرا . ولهذا فليس هناك اى سبب يدعونى للعودةالى العمل فى قاعة الطعام باستراحة كورنر ٠ ان احدا هناك لن يرانى ويظهر اعجابه بى

فقال بمبلز بشهامة :

ـ يكفى ان اراك انا واعجب بك . ارجوك ان تفكرى فى العودة وانا أضمن انهم سيرحبون بك

فهزت راسها وقالت :
ـ لا انني حين اترك العمل ، فانما اتركه نهائيا . انني لا استطيع أن أعود اليه راكعة . ثم ان المستقبل الآن امامي واضح ، نحــن قد فكرنا فيما سوف نفعله
ـ فكرت مع من ، وما هو هذا الذى فكرت فيه ؟
ـ فكرت مع كاميليا وقررنا ان نستأجر مسكنا خاصا فيــه المقاعد الوثيرة ، ومصابيح أنيقة وراديو ،وتليفزيون ، وبيانو ، وسوف نعنى بمظهرنا ، ونرتدى الملابس اللائقة ، ونحضر الحفلات ، وربما نقيم ايضا عندنا ولائم للعشاء
فقال بمبلز ساخرا :
ـ لغو فارغ ، انك لن تستطيعي ان تفعلى شيئا من هذا ابدا
ـ لماذا ؟ ما الذى جعلك تقول هذا ؟
ـ هذه هى الحقيقة ، ولا داعى للخيالات . ويحسن ان تعــودى الى ريبلز كورنر ، وانا الان أدرس بالمراسلة هندسة الراديو ، وسوف نخرج معا ، وتسهر معا ، ومن يدرى ، فربما ينتهى الامر الى الزواج . وانا اعرف صديقا تزوج فى مثل سنى ، والزواج المبكر يجعل الانسان طموحا
ونظرت نورما بامعان الى وجهه لترى هل هو جاد ام هازل ؟ ولكنه أخطأ تفسير نظرتها ، وظنها تتأمل « حب الشباب » الذى يشوه وجهه ، فقال بخجل ومرارة والم :
ـ أنا أعرف . أعرف أنك لا تستطيعين أن تخرجى مع شــاب مشوه الوجه « بحب الشباب » مثلى . ولكننى أؤكد لك انى لم أدخر وسعا فى علاجه ، لقد انفقت اكثر من مائة دولار على الاطباء فى شراء الادوية ، وقد اكد لى احد الاخصائيين ان هذه الحالة ستزول من تلقاء نفسها بعد عامين على الاكثر . حسنا . . .
ثم اردف قائلا بعنف وسخط :
ـ حسنا ، اذهبي الى مسكنك الجديد ، ومن يدرى ، فربمــا اتيحت لى الفرص لاتمتع فى الحياة باشياء لا تحلمين بها . وأنا فى غير حاجة الى رثاء أحد
ونظرت نورما اليه فى اندهاش ، لقد كانت تظن انهــا فقط هى

التي تشعر بمثل هذه الالام النفسية . انها في حياتها لم تجد احدا يطلب منها ان تقف بجانبه ، وتملأ حياته بالعطف والثقة بالنفس . ومن ثم أحست بموجة من الحنان تنفجر فى أعماق كيانها ، واذا هى تقول له بصوت بسيل رقة وعذوبة :

ــ اوه ، ارجو الا تظن هذا بى . لان الفتاة التى يهمها امرك لاتهتم بمسالة بسيطة كحب الشباب . انها حالة لا تلبث أن تزول بعد عام او عامين كما اكد لك الطبيب

فقال بصوت باك :

ــ اننى فى بعض الاحيان اتعذب بحيث اكاد افضل الموت على الحياة

ــ اوه ، لا ، لا تقل شيئا كهذا

ــ اننى انسان بائس لا أجد احدا يحبنى ، وليس هناك من يحب ان يتعامل معى !

فعادت نورما تقول :

ــ لا لا ، لا تقل هذا ، انك مخطىء ، فأنا .. فانا احبك

ــ لا ، ابدا

فوضعت يدها على ذراعه لتؤكد له صدق حديثها . ومد يده وامسك بيدها فى رفق ، ثم ضغط عليها ، فاستجابت له وضغطت على يده بدورها ، وهنا استدار فى مكانه ، والقى بذراعيه حولها وضغط بوجهه على وجهها ليقبلها ، ولكنها هتفت قائلة :

ــ لا ، لا ، ابتعد

فضاعف من عناقه لها ، فقالت :

ــ لا ، حذار ، ان الرجل العجوز نائم وراءنا

فهمس بملز قائلا :

ــ الا تسمعين غطيطه ؟ أنه مستغرق فى نوم ربمالا يصحو منه . تعالى الى

فدست مرفقها فى صدره لتبعده عنها بينما كانت يداه تعبثان بثوبها وتحاولان تمزيقه وهتفت به آمرة وقد ادركت انها خدعت فيه :

ــ دعنى وشانى ، دعنى أنصرف من هنا . كفى . كف عنى

فقال بصوت كالفحيح وقد تألقت عيناه بالجنون وهو يحاول تمزيق ثوبها

ــ تعالى ، تعالى الى . يجب . .

ــ أوه . ارجوك . . ان كاميليا قد تأتى فى أية لحظة . ماذا تقول لو رأتنا هكذا ؟

فتوقف بمبلز برهة وقال فى عنف وسخط :

ــ وماذا يهمنا من هذه الشريدة الضائعة !

وفتحت نورما فمها ، ونظرت اليه فى غضب قاتل ، ثم وثبت واقفة وانهالت على وجهه بقبضتيها ، فتراجع مذعورا وهو يرفع يديه ليحمي وجهه من ضرباتها . وكانت هي تهاجمه كقطة متوحشة وتقول :

ــ أيها الثعلب الخبيث ، أيها الثعلب القذر الحقير . كيف تجرؤ أن تقول هذا عن ملاك فى صورة انسان . . !

وراحت تضربه وتركله وتدفعه الى الممر الواقع بين صفى المقاعد ، حتى اذا سقط على الارضية من فرط المفاجأة والذهول ، اندفعت هابطة من السيارة ، وراحت تجرى وهى تهتف ساخطة :

ــ الثعلب الحقير ، الثعلب القذر المنتن !

ونهض بمبلز مرتبكا ، وأطل من النافذة ، ورآها وهى تجرى بعيدا ، ولكنه لم يدر ماذا يستطيع أن يفعل

ورأت كاميليا صاحبتها نورما وهى مقبلة نحوها تجرى ، فنهضت وتلقتها بين ذراعيها ، وأجلستها بجانبها وهى تقول لها

ــ ماذا بك يا عزيزتى ؟ ماذا حدث ؟

فرفعت نورما وجهها المبلل بالدموع وتمتمت قائلة :

ــ لا شيء لا شيء

ــ لا لا ، يجب أن تصارحينى بما حدث

فرفعت نورما يدها ومسحت عينيها بظاهرها مفسدة بذلك كل ما صنعته كاميليا فى وجهها من فنون التجميل ، ثم قالت :

ــ اننى لا أريد أن أتحدث عما حدث

ــ حسنا يا عزيزتى ، ليكن لك ما تريدين . انت وشأنك

ــ لقد أراد بمبلز أن . . أن ينالنى !

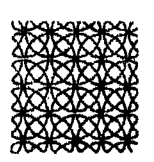
ـ ان بمبلز أو غيره لا يستطيع أن بنال أبة فتاة رغما عنهـا .
اطمئنى من هذه الناحية ولا داعى لكل هذه الانفعالات

ـ ولكن ليس هذا هو السبب الاساسى لغضبى منه

ـ اذن ما هو السبب ؟

فعادت نورما تمسح عينيها ، ثم تقول :

ـ لقد ضربته وركلته لانه قال .. قال عنك ، أنك شريدة ضائعة



الفصل الخامس عشر

أضواء فى أفق الليل

أسرع جون فى سيره حتى اضطرت ميلدرد لان تقول له :

ــ هل من الضرورى ان نجرى هكذا ؟

ــ انني أريد أن أخرج السيارة من المنخفض قبل أن يظلم الجو

ــ اتعتقد ان فى مقدورك اخراجها ؟

ــ نعم

ــ حسنا ! لماذا لم تحاول أن تخرجها بدلا من تركنا والابتعاد عنا

فخفف من سرعة مسيره وقال :

ــ لقد اخبرتك بالسبب .. أخبرتك به مرتين

ــ آه ، نعم . اذا فقد كنت تتعمد هذا حقا ؟

ــ كنت أتعمد كل شيء

ووصلا الى السيارة قبل أن يغيب قرص الشمس وراء المرتفعات الغربية ، وكانت الاشعة الغاربة تنطلق الى بقايا السحب وتنعكس منها وتكسو المنطقة بضوء وردى جميل

ويرز بمبلز من وراء السيارة عندما رأى جون يصل اليهما ، ثم قال له :

ــ متى ستحضر سيارة الانقاذ ؟

ــ لم أتمكن من استدعاء احداها . وعلينا أن نخرج السيارة بانفسنا ، وسنحتاج الى معاونة الجميع .. اين هم ؟

ــ انهم متفرقون هنا وهناك

ــ حسنا ، استدعهم وناولنى الشمع الكبير

ــ ان تلك السيدة تنام عليه ، فى ذلك الكهف

ــ حسنا ، ايقظها وهاته . واريد ايضا أن تجعلهم يجمعوا كل

ما يستطيعون جمعــه من الاحجار والصــخور ، وسوف آتى انا ببضعة الواح أو كتل من الخشب من سياج المزرعة القريبة . هلم أسرع ريثما استخرج من السيارة بعض الآلات والجاروف والمعول والرافعة الـكبيرة

وصعد جون الى السيارة ، فلما راى فان برانت راقــدا على المقعد الخلفى ، قال له :

ـ ارجوك ان تنهض حتى اخرج بعض الادوات من الصندوق

وفجاة انحنى على الرجل وقد ادرك من عينيه المفتوحتين ، ومن حشرجة انفاسه أنه فى حالة احتضار ، فأسرع وطرق على زجاج نافذة السيارة مناديا على بمبلز ، فلما اسرع هذا اليه ، قال له :

ـ ان هذا الرجل مريض جدا ، أسرع وأتنى بقطعــة صــــغيرة من الخشب لا يقل طولها عن عشرين سنتيمترا ، واستدع أحدا لمعاونتى على رفعه

وعاد بمبلز بقطعة الخشب وبالمستر بريكارد ، فقال له جون :

ـ أرجو ان تساعدنى على زحزحته قليلا حتى أستخرج ما اريد من أدوات ، وبعد ذلك ارجو أن تضغط بقطعة الخشب هــذه على لسانه حتى لا ينحشر فى حلقه ويختنق.

وجلس المستر بريكارد بجوار الرجل المريض ممسكا بقطعـــة الخشب التى تضغط على اللسان . وكان يشعر بالغثيان من منظر الرجل ، ومن الرائحة المنبعثة من فمه ، ولكنه قرر أن يقاوم وان يتحول بأفكاره بعيدا عنه

وحلقت افكاره حول ما حدث بينه وبين زوجته . وشعر فجأة كأن سهما باردا اخترق قلبه حين رآها تصعد الى السيارة وتجلس على اول مقعد فيها دون أن تلتفت اليه أو توجه له كلمة واحدة

وقال لنفسه :

« لا شك اننى فقدت عقلى ، والا كيف طاوعتنى نفسى على اغتصابها هكذا ؟ »

وفى خارج السيارة كان بمبلز بكل ملابســه الفاخرة راكعــا فى المنخفض الممتلىء بماء المطر ، يتناول الاحجار والصخور من نورما وكاميليا ويدسها تحت العجلة الخلفية اليسرى بعد أن رفعهـــا

جون بالرافعة ، وكانت ميلدرد تجرى هنا وهناك وتجمع الاحجار من كل نوع وتكومها بالقرب من حافة المنخفض ، وكان جون قد استطاع ان يأتى من سياج احدى المزارع ببضعة الواح من الخشب وراح يضع بعضها تحت العجلة المرفوعة ليثبت قاع المنخفض فلا تغوص العجلة فيه مرة اخرى

ولما أرادت كاميليا أن تساعد بمبلز فى دس الحجارة تحت العجلات امسك ارنست هورتون بيدها ليمنعها قائلا :

ـ انك ستفسدين ثيابك بقذارة الاوحال اذا هبطت

ـ وهل سأكون اقذر مما انا الان ؟

فاراح مرفقه على جانب السيارة وقال :

ـ الا ترغبين فى أن تعطينى رقم تليفونك ؟ فاننى لا أجد ما يمنع من أن نخرج سويا بين الحين والاخر بعد وصولنا الى لوس انجلوس

ـ اننى الآن بلا مسكن ، وليس لى من ثمة رقم تليفون

ـ حسنا ، اننى لا اريد ان ارغمك

ـ أؤكد لك ان هذه هى الحقيقة . اين ستقيم انت فى لوس انجلوس ؟

ـ فى فندق هوليوود بلازا

ـ حسنا ، اذا رأيت أن تكون فى بهو الفندق فى الساعة السابعة من مساء الغد ، فانه يسرنى أن آتى اليك

ـ عظيم جدا ، وأنا يسرنى أن أمضى بك عندئذ الى مطعم ماسو فرانك لتناول العشاء

ـ انك لطيف !

ـ وانت الطف

وبعد نصف ساعة من الجهد المتواصل ، تمت جميع الترتيبات الاولية لاخراج السيارة من المنخفض ، ولم يبق الا أن يجلس جون فى مقعد القيادة ، ويدير المحرك ويحاول أن يخرج بالسيارة من المنخفض بمعونة الركاب الذين كان عليهم أن يدفعوا بها لمساعدة المحرك على جذب السيارة الى الخارج

وجلس جون فى مقعد القيادة ، وادار المحرك ، وتركه حتى يسخن ، ثم تنهد بعمق ، واطل من النافذة وطلب من بمبلز أن

يشرف على تنسيق حركات الركاب فى دفعهم الجماعى للسيارة

وبدأ جون فى قيادة السيارة خارج المنخفض ، وتعثرت العجلات الخلفية قليلا ، ولكن قوة المحرك واستماتة الركاب فى الدفع جاء بالنتيجة المنشودة ، واذا بالسيارة تخرج من المنخفض سالمة

وقال جون لتمثال العذراء :

« شكرا جزيلا يا سيدتى ، ان كل ما أرجوه منك الآن أن أجد آليس قد أفاقت من السكر عند عودتى اليها »

ولم تعد المسز بريكارد مكفهرة السمات أو محزونة النفس ، وانما أخذت الابتسامة السعيدة ترف على شفتيها وهى تفكر فى أنواع النباتات النادرة من فصائل « الاوركيد » التى سوف تستنبتها فى البيت الزجاجى

وقال بميلز لجون فى مودة وتقدير :

ــ اذا كنت متعبا يا مستر شيكو ، فدعنى أقود السيارة بدلا منك الى سان جوان دى لاكروز

ــ لا لا ، شكرا يا كيت

وقالت ميلدرد لنفسها وهى ترنو الى جون من بعيد :

« اننى لن أستمر فى هذا اللون من الحياة الذى جعل الشبان الصالحين للزواج بى ينفرون منى ، لانى أريد أن أتزوج فى اقرب فرصة ممكنة .. »

واقترب ارنست هورتون من المستر بريكارد الذى كان لا يزال جالسا بجوار العجوز فان برانت ، يضغط على لسانه بشريحة الخشب حتى لا يدعه ينحشر فى حلقه ويسبب له الاختناق

وقال ارنست هورتون له :

ــ هل تسمح لى أن احل محلك كى تستريح قليلا ؟

ــ لا لا ، شكرا ، ترى ماذا أصابه ؟

ــ اعتقد انها جلطة دموية

ــ وهل سينجو منها ؟

ــ ربما ، اذا لم تكن الثالثة . والآن ، اننى ساكون فى فندق هوليوود بلازا ، ويمكنك الاتصال بى تليفونيا لكى نتفق على موعد اللقاء .

فتردد المستر بريكارد برهة ، ثم قال باسما :

ـ أعتقد أننى ساكون مشغولا جدا فى الايام المقبلة ، ولعل من الاوفق أن تأتى الى مكتبى ذات يوم بالشركة ، ويمكننا عندئذ ان نتبادل الحديث فى مختلف المشروعات

ـ ليكن ما تريد

واطلت نورما من النافذة حيث رات الظلام ينتشر فى صفحة السماء ، ولما لمحت عند حافة قمم الجبال البعيدة أول نجم يضىء ، قالت تخاطبه :

« يا أول نجم ، يا أول نجم أراه الليلة ، حقق أملى ، حق املى الذى ارجوه الليلة »

واستدارت كاميليا نحوها بعينين مثقلتين بالنوم وقالت لها :

ـ ماذا تقولين يا عزيزتى ؟

فصمتت نورما برهة ثم قالت :

ـ أقول سوف ننظر كيف ستسير الامور

ـ آه نعم ، سوف ننظر كيف ستسير الامور

وفى تلك اللحظة تألقت فى أفق الظلام البعيد عقود خافتة من الاضواء التى أخذت تزداد وضوحا كلما اقتربت السيارة منها .. انها اضواء نهاية المطاف !

« انتهت »

القصص العالمية للجميع

الفرسان الثلاثة "جزئين"	اسكندر ديماس
الكونت دي مونت كريستو	〃
ذهب مع الريح "جزئين"	مارغريت ميتشل
رجال ونساء .. وحب	جون شتاينبك
ليلة غرام	سومرست موم
كنت جاسوساً	〃
غادة الكاميليا	مارسيل موريت
جريمة في الريفييرا	جورج سيمنون
الأرض الطيبة	بيرل باك
عذارى المعبد	〃
ايفانهو "أو الفارس الأسود"	سير والتر سكوت
دافيد كوبرفيلد	شارلز ديكنز
أحدب نوتردام	فيكتور هيغو
الام فرتر	يوهان جوته
العجوز والبحر	ارنست همنغواي
سوف تشرق الشمس	〃
الكأس الأخيرة	اجاثا كريستي
عدالة السماء	〃
القاتل الخفي	〃
الرجل الغامض	〃
غادة طيبة	〃
عذراء وثلاثة رجال	جيمس هيلتون

مطابع المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية حلب المسلمية المنطقة الحرة